

قصص وأساطير من الإغريق

٣

الطاغية المحتال

دار المعارف بمصر

قصص وأساطير من الإغريق

٣

- الطاغية المحتال
- شعب مجاهد
- الرياح أقوى من الملوك
- أبلغ إسبرطة
- قلعة من خشب

دار المعارف بمصر

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر

الطاغيةُ المحتالُ

استولت الكآبةُ على « پيزسترات » فأصبح النّاسُ لا يرَوْنَه إلَّا عابسَ الوجه، مقطَّبَ الجبين، ضيِّقَ الخُلُق ، فقد كان الرَّجلُ فريسةَ الأفكارِ السُّودِ والحقائقِ المُرَّة ، فمنذ أن هجَرَ مدينة « آتينا » ورَحلَ عنها وهو لا يَفْتَأُ[1] يفكِّرُ كيف يعود إليها ويرجِعُ إلى وطنِه الجميل .

وكان « پيزسترات » على حقٍّ فى أن يبْدُوَ بذلك المظهرِ الحزينِ الكئيب ، فقد بدَّلَهُ الزَّمَنُ بالعزِّ ذُلّاً[2] ، وبقصره المنيفِ[3] فى المدينة بيتاً متواضعاً فى إحدى القُرَى ، فبينما كان

---

(١) لا يفتأ : لا يزال .

(٢) بدله بالعز ذلا : أى نقله من العز إلى الذل . والباء هنا دخلت على المتروك .

(٣) القصر المنيف : القصر الرفيع العالى .

ذاتَ يومٍ جالساً فيه ، مستسلماً إلى هواجسِه وأفكاره ، نظر إلى خادمته « فيا » وهى غاديةٌ رائحةٌ تمتاحُ[١] الماء من البئر ، وتسقى آنيةَ الأزهار فقال فى نفسه :

— « إنها والحقِّ امرأةٌ جميلةٌ ، مرفوعةُ القامة ، قويّةُ البدن ، منتظمةُ القسمات ، حسنةُ المظهر ، هيهاتَ أن يحسبَها الرأى فتاةً قرويةً من فتياتِ القرى . . . إن قدَّها الرّشيق ، وقامتَها المديدة[٢] وجمالَها البارع ليُمثّل هذا كله صورةً من صور الآلهة . »

على أن جمالَ الفتاة لم يحوّلْ « بيزسترات » طويلاً عن مجرى تفكيره ، فعاد يذكرُ « آتينا » التى طردهُ منها أعداؤه ، ولكن « بيزسترات » ليس بالرّجلِ الذى يرضى بالهزيمة ، ويستسلمُ إليها مقتنعاً راضياً ، ولقد عرف « صولون » الحكيم مشرّع

(١) امتاح الماء : اغترفه . (٢) المديدة : الطويلة .

« آتينا » تلك الخلّة[١] فيه ، فكان يدعوه الثّعلب ، وينزل إلى الميادين العامّة ، ويخطُب فى مواطنيه ، ويحذّرهم من شرّ الرجل ويصيح فيهم قائلاً :

— « إنَّ جُبْنَكم سيكون سببَ شقائِكم ... إنكم تسمعون خُطَبَ "بيزسترات" الجميلة ، وتؤخذون بسحرِ بيانها وبلاغتها ، وتغضّون الطّرْفَ عن أعماله ... إنّكم تحيَوْن حياةً هانئةً سعيدة فى جُمْهوريّتكم ، ولكنّكم سوف تستيقظون يوماً فترَوْن أنفسَكم عبيدَ رجلٍ طاغية . »

هذا ما كان يقوله « صولون » الحكيم ، وبمثلِ هذا كان يُنْذِرُ أهلَ « آتينا » ويُحَذِّرهم من طُغْيان « بيزسترات » ، غير أنَّ العامّة من أهل « آتينا » كانوا يحبّون « بيزسترات » ، فالعمّالُ والصُّنّاعُ والفلّاحون والرُّعاةُ فى الجبال ، جميعُ هؤلاء كانوا يجدُون فيه محامياً عنهم ، ذائِداً[٢] عن حقوقهم ، فاستغلّ

(١) الخلة : الخصلة والسجية . (٢) ذائداً عن حقوقهم : مدافعاً عن حقوقهم .

فجأة تقتهم وتلقفهم به ، وشمر يوماً عن ساعديه وساقيه ، ونزل الساحة العامة وهو يصيح :

— « إن هناك مؤامرة تدبر لاغتيالى . . . إنى أطلب حرساً يحمينى ويسهر على حياتى » .

فقابل الشعب كلامه بهتاف الولاء وصياح السخط ، وتقدمت جماعة من ذلك الشعب الساذج البرىء ، وتطوعت لحراسته ، فلما رأى نفسه محاطاً بطوائف من الشباب المسلح بالعصى والهراوى [١] مشى بهم إلى « الأكروبول » فاستولى عليه وأصبح سيد « آتينا » .

أما « صولون » الحكيم الشيخ فقد علق سلاحه على باب بيته وتوارى فيه يائساً مهموماً . . .

وكان للثعلب ، على مكره ودهائه ، أعداء كثيرون ، كانوا على جانب عظيم من البأس والقوة والسلطان ، وكان فى مقدمة

(١) الهراوى : جمع هراوة وهى العصا الضخمة كهراوة الفأس والمعول .

هؤلاء أسرة نبيلة تدعى « ميو نيداس » يتزعمها رجل قوى فاضل يدعى « ميجا كايس » ، فألب الناس [١] عليه ، وجمع الجموع ، ومشى بها إلى « بيزسترات » مشى الزوابع والصواعق ، فأدرك « بيزسترات » أن الدائرة ستدور [٢] حتماً عليه ، فتحين [٣] الفرصة السانحة ، ولاذ بالفرار ، وها هو ذا الآن فى داره الصغيرة ، يدور فيها دوران الثعلب ، وتقيمه الأفكار وتقعده .

على أن هذا الثعلب الماكر لم يستنفد جميع حيله ، فما زال فى جعبته [٤] منها الشىء الكثير ، وليس يرجو إلا أن يسانده الحظ قليلاً . .

وكأنما الحظ استمع لندائه ، نخف [٥] يسعفه ويؤازره [٦] .

(١) ألب الناس : جمعهم وحشدهم . (٢) الدائرة : ما أحاط بالشىء وتأتى بمعنى النائبة . يقال دارت عليهم الدوائر أى نزلت بهم الدواهى .

(٣) تحين : يقال تحين منه غفلة أى ترصد حينها .

(٤) الجعبة : الكنانة تجمع فيها السهام . (٥) خف إليه : سارع إليه .

(٦) يؤازره : يسعفه ويشد أزره .

كانت الشَّمْسُ قد مالَتْ إلى الغُرُوب ، فإذا فارِسٌ من الفُرْسان يَقْرَعُ[١] بابَ الدَّار فتفتحهُ له الخادمة ، ثم تُهْرَعُ[٢] إلى سيِّدها تخبرُه بقُدوم الفارس الغريب ، فقال لها سيّدها :

— « هل ذَكَرَ لكِ اسْمه ؟ »

فقالت الخادمة :

— « كلاَّ يا سيِّدى . . . »

فقال « پيزسترات » :

— « وما أوصافُ الرَّجُل ؟ »

فقالت الخادمة :

— « يتعذَّرُ علىَّ يا سيِّدى أن أصِفَ لكَ الرَّجل . . . إنه مُشْتَمِلٌ[٣] بمِعْطَف يغطِّى وجْهه كَمَنْ يشكو ألماً فى أسْنانه ، ولعلَّ أهلَ القرية رأَوْهُ وهو قادمٌ إلينا فعرَفُوه . »

(١) يقرع : يدق . وإذا كان الوقت ليلا يقال : طرق .

(٢) تهرع : تسارع فى جزع وخوف . (٣) اشتمل بالثوب : تلفف به .

ثارتْ فى نفسِ « پيزسترات » عوامِلُ الحَذَر ، فوَدَّ لو يَعْرِفُ اسم الرجل وشأنه ، قبلَ أن يخفَّ إلى استقباله ، وفيما هو ناهضٌ إليه ، لَمَحَ جوادَ الفارس فرآهُ جواداً مُطهَّماً[١] أصِيلًا يَضْرِبُ الأرضَ بحوافرِه ، ويَصْهَلُ صهيلًا[٢] خفيفاً دون أن تلوحَ عليه مشقَّةُ السَّفَر .

وكان الطَّاغية القديم يُحِبُّ الخيل . فطالما أجْراها فى ساحاتِ الأولمب ، فلمَّا رأى ذلك الجوادَ قال فى نفسه :

— « إنَّه لجوادٌ كريم ! . . . »

ثم حَدَّقَ فى الجواد قليلًا واستأنف حديثَه مع نفسِه قائلًا :

— « إنه ولا شكَّ جوادٌ من خيل أسرة "ميو نيداس" ، فإنِّى لأعرف علائِمَها وصِفاتها ، فإنْ لم يُخْطِئْنِى الظَّنّ فإنَّ هذا الفارسَ القادمَ علىَّ إنَّما هو "ميجا كايس" أو أحد أتباعه ،

(١) المطهم : التام البارع الجمال فى كل شئ .

(٢) الصهيل : صوت الخيل .

جاء إلىَّ متنكرًا ليحاورنى(١) فى بعضِ الأمور معتمدًا على الحيلةِ والخِداع . »

ولمَّا صار إلى الرَّدْهَة(٢) التى جلس فيها الزَّائرُ الغريب ، صاح فيه قائلاً بصوتٍ أجشَّ(٣) عالٍ :

— « شرَّفتَ الدَّارَ يا سيّد "ميجا كليس" .. دَعْكَ من المواربة ، وكُنْ صريحًا .. ماذا جئتَ تقول لى ؟ »

وسَمِعَ الزَّائرُ الغريبُ هذا الكلام فلم يُنْكِره ، ولا حاولَ أن يُمْعِنَ(٤) فى تخفّيه بل أزاحَ جانبَ المِعْطَف عن وجهه ، فإذا هو حقًّا « ميجا كليس » جاء يَعْقد محالفةً مع « بيزسترات » ، بَعْدَ إذْ سئِمَ من شِجارِ الأحزاب فى « آتينا » وتنافُسِها تنافُسًا شديدًا على الحكم والسُّلْطان ، وبعد إذ تنكَّر له أصحابُه وأصدقاؤه المقرَّبون ، فقال يُجيب « بيزسترات » عن سؤاله :

(١) حاوره : جاوبه وراجعه الكلام . (٢) الردهة : أوسع محل فى البيت .
(٣) الأجش : الغليظ الصوت . (٤) أمعن فى الشيء : بالغ فيه .

— « جئتُ أُحالِفُك وأعاهِدُك على العمل معًا على أن يكون لى نصيبٌ من الرِّبْح ... تعودُ إلى "آتينا" يا "بيزسترات" وأسْعَى معك إلى تَقْليدِك(١) زِمام الحكم ، ولكن بعد أن تتزوَّجَ ابنتى ... »

فضحك « بيزسترات » وقال :

— « يالها من هديةٍ جميلة تقدِّمُها إلى ابنتك يا "ميجا كليس" ! أنسيتَ أنِّى قد ابتعدتُ عن رَوْنَقِ الشَّباب ، وأنِّى ترمَّلْتُ مرّتين وأنى أبٌ لأربعة أبناء ؟ »

فقال « ميجا كليس » :

— « إنَّ ابنتى تعرف كيف تستمعُ لِنداء الواجب ... إنها لا ترى فى الزَّواج أداةَ لهوٍ ومتعة .. فإذا علمتْ أنى راضٍ عن هذا الزَّواج وأنِّى صاحبُ الفكرة فيه ، رضيتْ بك بَعْلاً(٢) فما مانعَتْ ولا عارَضَتْ ... »

(١) قلده العمل : فوضه إليه . (٢) بعلا : زوجا .

فقال « بيزسترات » :

— « يسرُّنى يا " ميجا كليس " كلَّ السُّرور أن أكونَ زوجَ ابنتك . . . فنحن إذن مُتَّفِقان ، ولكن هناك مشكلةٌ صغيرةٌ تتطلَّبُ الحلَّ الموفَّق . . . لقد حدَتْك(١) نفسُك الطيِّبة إلى الظنِّ أنِّى الرَّجُل الوحيدُ الذى يستطيع أن يُعيدَ الأمْنَ إلى نِصابه(٢) فى " آتينا " . »

فقال « ميجا كليس » :

— « ليس ذلك مَحْض ظنٍّ بل يقيناً راسخاً فى نفسى . »

فقال « بيزسترات » :

— « شكرًا لك على ظنِّك الحَسَن ، بل على عقيدتِك الرَّاسخة . . . إنك تقدِّمُ لى زِمامَ الحكم وإنى لأَقْبلُهُ راضياً شاكرًا معترفاً بجميلك ، ولكن شعب " آتينا " قد يرى أنَّ له

(١) حدتك : دفعتك . (٢) النصاب : مقبض السكين .

كلمةً فى الأمر يقولها ، وقد يؤثر(١) أن يُسْتَشار فيه ، وأنت تعلم أنَّ مُواطنينا لا يُحِبُّون أن يكونوا موضوعَ رهانٍ بين اللَّاعبين يقامِرُون عليه كما يقامرون على جرارِ(٢) خمرٍ أو أكياسِ تين ، أفتظنُّهم يُحْسِنُون استقبالى حاكماً عليهم ؟ »

فقال « ميجا كليس » :

— « لستُ أدرى ، وإنّما أعتمدُ عليك فى تدبيرِ ما يجب تدبيرُه وإعداد ما يلزمُ إعدادُه . »

فقال « بيزسترات » :

— إنّك لتأسرنى بحسْنِ ظنِّك بى ، وإنى لك لمن الشاكرين يا " ميجا كليس " ، ولكنَّنى لا أودُّ أن أدخل من الباب الضيِّق ولا أن أتسوّل الرضى والقبُول ، كما أنِّى لا أحِبُّ أن أستجْدِىَ عطفَ المجلس . . . فإنْ عدتُ إلى العاصمة فعودةَ المنتصِر الظّافر الذى يُسْتَقْبَل بالهُتاف والتَّهليل . »

(١) يؤثر : يفضل .
(٢) الجرار : جمع جرة وهى إناء خزف له بطن كبير وعروتان .

وبدأ « ميجا كليس » ينفدُ صَبْرُه فقال :

— « دبِّرْ لعودتك ما تستطيع من خُطّة ، فما إخالك(١) تنتظرُ أن تترامى إليك الآلهة وتقودُك بيمينك إلى "الأكروبول" ! . . »

فقال « پيزسترات » :

— « الآلهة ! . . . أجل يا "ميجا كليس" الآلهة ! . . . »

وكانت الخادمةُ « فيا » قد عادتْ إلى سقْى الأزهار ورشِّها بالماء ، تستخرجُه من البئر فيُسْمَعُ لاحتكاكِ الحَبْل بالبكَرة صريرٌ(٢) شديد . وكانت نفَحات الأزهار المنتعشة بالرِّىّ تتصاعدُ فى جوّ المساء فتبثُّ(٣) فيه طيبَ العبير(٤) والشّذا ، ومازالت الخادمة تجىء وتروحُ قائمةً بمهمَّتها ، وسيِّدُها يتبعها بنظراته وهو يفكّر ويحلم حتى استأنفَ الحديثَ وقال :

(١) إخالك : أظنك .
(٢) الصرير : صوت المفتاح فى القفل وصوت القلم على الورق .
(٣) تبث فيه : تنشر فيه . (٤) العبير : الرائحة الزكية .

— « دَعْنى أفكرْ قليلًا يا "ميجا كليس" . . . »

* * *

وبعد أيّام قلائل كان « پيزسترات » يدخل « آتينا » دخولَ الظّافرين ، يتقدَّمُه موكبٌ حافلٌ يتألّفُ أوّلًا من كوكبةِ(١) الفرسان وكلُّهم من أبناء الطّبَقة الراقية، وفى طليعتهم فرسانُ أسرة «ميجا كليس» وقد امتَطَوْا صَهَوات(٢) خيولهم الأصيلة المطهّمة ، ويتألف ثانياً من حَرَسِ الطّاغية ، فرجالِ الجبال الذين بَقُوا على عهده والولاء له ، فطوائفِ الصُّنّاع الأقوياء وهم حامِلون مطارقَهم ، فأبناءِ الطّاغيةِ نفسه بقاماتِهم الممشوقة ، ومظهرهم الذى يدلُّ على البأس والقوّة ، فأربعةِ منادين مدجَّجين بالسّلاح كانوا إذا وصل الموكبُ إلى منعطفٍ من منعطفات الطُّرُق أشرَعُوا(٣) أزمارَهم(٤) الفضيّة ونفخوا فيها يسترعُون الأسماع ونادَوْا فى الشَّعْب قائلين :

(١) الكوكبة : الجماعة . (٢) الصهوات : جمع صهوة وهى ظهر الفرس .
(٣) أشرعوا : رفعوا . (٤) الأزمار : جمع زمر وهو آلة طرب ينفخ فيها .

« يا شعب "آتينا" أيها المواطنون الكرام !
رحّبُوا بمقدم "بيزسترات" ابن "هيبوقراط"
إن الإلهة "آتينا" التى خصّته دون العالمين
بالشّرَف الرّفيع والمجد والسؤدد هى التى تقوده
بيمينها إلى حِصْنِه المنيع . . . »

وعلى أثر هؤلاء المنادين ينتهى الموكبُ بمركبةٍ فخمة مزيّنة بالعاج ، مزركشةٍ بالذهب النُّضار ، يجرُّها أجملُ ما عرفه عالم الإغريق القديم من خيول . وفى وسط المركبة وقفت . . يا للعَجَب العُجَاب ! . . . وقفت الإلهة « آتينا » ابنة « زوس » ربّة المدينة « آتينا » العذراء المحارِبة التى تبعثُ كلُّ نظرةٍ من نظراتها بالموت الزؤام . . . إنها أطولُ قامةً من أيّة امرأة فى « آتينا » ، فقدُّها الممشوق يدعو إلى التّعظيم والإجلال ، ووجهها الصّبِيح (١) النّضير تتألّقُ فيه عظمة الآلهة . . .

(١) الصبيح : المتلألئ كالصباح .

أمّا ملابسُها وأسلحتُها فتلك التى عُرفت بها الإلهة « آتينا » من الخوذة البرّاقة ، إلى الرّمح التى يستجلِبُ سِنانُها الصّواعق ، إلى الدّرع التى حفّت بصدرها الواسع . . .

وكان « بيزسترات » واقفاً وراءها فى وسط المركبة مطأطئ الرأس خاشعَ النّظرات . .

فما كادت النساء يرَيْنَ الإلهة « آتينا » حتى دبّ فى قلوبهنّ الذّعر ، ورفعن أيديهن إلى السّماء ، وسجدْنَ راكعات خاشعات . . . واستولى على الفتيان مثلُ تلك الرّهْبة ، فضجّوا وصَخِبُوا ؛ وهكذا كانت الجماهير تنْحسِرُ (١) عن طريق الموكب خائفةً جازعةً ، ذاكرةً ما أُثِرَ (٢) عن الإلهة « آتينا » من أن نظرةً واحدة من نظراتها تكفى لصَعْقِ أقْوى الأقوياء .

واخترقَ موكبُ الإلهة المدينة بأسْرعَ ممّا كان يقدّرُ ويُظَنّ ، حتى وصل « بيزسترات » إلى « الأكروپول » فدخله وأُقْفلت

(١) تنحسر : تنشق وتتراجع .
(٢) أثر عنه : عرف عنه .

الأبواب عليه وعلى جماعته ، فقفز فى الحالِ من المركبة ، وصاح متنفساً الصُّعَداء[١] :

— « أفٍّ . . . لقد تمَّ الأمر على خيرِ ما يُرام ! »

ثم التفتَ إلى الإلهة التى حرسَتْه وحرست موكبه ، وكانت لا تزالُ واقفةً فى وسط المركبة فقال لها :

— « ترجَّلى ياعزيزتى "فيـا" . . إنى مسرورٌ منك كلَّ السّرور ! »

* * *

إن كلَّ مَنْ يقرأُ هذه النَّادرة يوافقُ المؤرخ « هيرودوت » الذى رواها على أنها مثارٌ للدَّهشة والعجب ، فقد ذيَّلَ[٢] ذلك المؤرخ هذه النادرة بقوله :

— « أَمِنَ المعقول أن تَنطلى مثلُ هذه الحيلة الضَّخمة على الآتينيين وهم من بين الإغريق أرْجَحُهم حِلماً[٣] وعَقْلاً ! . . . »

(١) الصعداء : التنفس الطويل من هم أو تعب .

(٢) ذيل : وضع فى الذيل . (٣) الحلم : العقل .

شعبُ مجاهِد

عرفنا فى كتابٍ من كُتُب هذه المجموعة كيف انتصرَ « قورش » ملكُ الفُرْس على قارون ملك « ليديا » ، ويجب أن نَعْرِفَ بعد ذلك أنَّ بلادَ فارس ما بَرِحَتْ مُنذُ ذلك النَّصْر الباهر تَتَّسِعُ رُقْعَةً[١] وسلطاناً حتى غدت دولةً مهيبةَ الجانب ، عظيمةَ الشَّأن والجاه ، تخضعُ لِمَلِكها جميعُ شعوبِ آسيا ، وتمتدُّ رُقْعتها من الهند إلى بحر اليونان .

وكان ملـِكها يسمَّى « الملك العظيم » ، وتُطْلَقُ عليه أحياناً كلمة « الملك » فقط ، فإذا قيل : الملك ، عَنَى القائلون[٢] ملكَ الفرس لأنه كان فى تلك الحِقْبَة[٣] أجلَّ الملوك شأناً ، وأوسعَهم سلطاناً ، وكانت إمبراطوريّته من السَّعة ورَحابة الأرْجاء[٤]

(١) رقعة : مساحة . (٢) عنى القائلون : أرادوا وقصدوا .

(٣) الحقبة : المدة من الوقت . (٤) الأرجاء : الأطراف .

بحيث كانت عدة مدن تتنازع شرف إقامته بها ، أمّا هو فكان يقيم على الغالب بمدينة « سوز » فى قصر منيف ممرّد(١) ، يتألّق بالغنى والثّراء ، وبكلّ جميلٍ فاخر ، وكان يمتلك من الكنوز ما لا يُعدّ ولا يُحصى ، حتى إن بلاطه كان مجمع التّرف والطُّرف الغالية ممّا لا يقوّم بثمن ولا يقدّر بمال .

وكانت رسله تطوف الطرق حاملة أوامر الملك إلى أقصى الأقاليم التى يحكمها عمّاله(٢) ، كما كان المراقبون وهم « عيون الملك وآذانه » يسهرون على شؤون الإمبراطوريّة الواسعة ، وعلى نظام الحكم والإدارة فيها .

وحدّث ولا حرج عن رقعة دولته الممتدّة الأطراف ، الواسعة الأرجاء ، وذلك أن تعدّها ينبوعاً لا ينضب معينه يسيل بالجند والغنى ، ويحمل إلى خزانة الدولة فى كلّ عام القناطير المقنطرة من الذّهب والفضّة .

(١) القصر الممرد : الطويل العالى . (٢) العمال : جمع عامل وهو الحاكم والوالى .

وغنىٌّ عن البيان أن المدن الإغريقية القائمة على سواحل آسيا الصُّغرى ، كانت تخضع لملك الفرس ، وتشقّ عليه حيناً بعد آخر عصا الطاعة ، وتدبّر الفتن والثّورات لتتحرّر من ربقته(١) وتنجو من نير(٢) سلطانه .

وأتّفق أن ذهب يوماً طاغية مدينة « ميله » الإغريقىّ إلى مدينة « سوز » فاستبقاه ملك الفرس فيها ، وأمره بالبقاء إلى جانبه ، فضاق ذرعاً(٣) بتلك الإقامة فى ظلال ملكٍ عنيفٍ مستبدّ ، فخطر له أن يوعز إلى مدينة « ميله » بالتمرّد والعصيان ، رجاء أن يرسله ملك الفرس إلى قمع الفتنة فى بلده ، والضّرب على أيدى المتمرّدين من مواطنيه ، فينجو بتلك الوسيلة من محبسٍ ضاقت فيه أنفاسه وإن يكن قصر ملكٍ عظيم .

ففكّر فى إرسال رسالة إلى مدينة « ميله » وهداه تفكيره

(١) الربقة : العروة فى الحبل .
(٢) النير : الخشبة المعترضة فى عنق الثورين بأداتها .
(٣) ضاق ذرعاً : سئم ونفد صبره .

إلى طريقةٍ بارعةٍ ، ذلك أنه اختارَ عبداً من عبيده ، وحلق له شعْرَ رأسه ، ووشَمَ(١) فى وسط الرأس كلمة « ثورة » وحجزَهُ عن أعيُنِ الرُّقباء . فلما نبت شعر رأسه بعثَه إلى مدينة « ميله » وأوصاه أن يحلِقَ رأسه حالما يصلُ إلى المدينة ففعل ، وقرأ أهل « ميله » كلمة « الثورة » فى رأس العبد ، فثارت ثائرتُهم ونهضُوا جميعاً إلى التمرُّد على « دارا » ملك الفرس ، وجرُّوا وراءهم أهلَ المدن الأخرى الإغريقيّة فى سواحل آسيا الصُّغْرى ، فطار لهَبُ الثورة حتى كاد يحرقُ بلادَ اليونان قاطبة .

لم ينجحْ أهلُ «ميله» فى ثورتهم ، فاستنجدُوا بإخوانهم وبنى جنسهم من سُكّان اليونان فاستمعت «آتينا» لندائِهم واستغاثتِهم ، فأعدّت السُّفُن وحمّلتْها بالجند والعَتاد(٢) ، وسيّرتها إلى شواطئ آسيا الصغرى ، فنزلها الإغريق دون مقاومة ومَشَوْا يحتلُّون المدن حتى وصلوا إلى مدينة « سارد » عاصمة « قارون » القديمة ،

(١) وشم : كتب أو رسم بالإبرة . (٢) العتاد : أدوات الحرب .

فاستولَوْا عليها وأشعلوا فيها النار على غير طائل ، ذلك أن جيشاً من جيوش « فارس » كان قد خَفَّ إلى حِماية المدينة ، فأنزلَ بهم هزيمةً مُنْكرة ، وشتّتَ شملَهم وفرّقهم أيدى سبا(١) .

وعُنِىَ « دارا » عنايةً عاجلةً بالاقتصاص من أهل « ميله » وأهلِ آسيا الصُّغْرى الذين عصَوْه وثارُوا فى وجه حُكْمه ، ولم يحفِلْ كثيراً بتلك الثورة التى اندلعت(٢) فيها ألسنةُ النار والعِصْيان ، وعدَّها على غِرارِ(٣) الثورات الأخرى التى سبقتها وكان مَسْرَحُها مختلفَ البِقاع فى إمبراطوريّته الواسعة الشاسعة ، غير أنه استاءَ كل الاستياء من نُهوض الآتينيين إلى نَجْدة إخوانهم أهل «ميله» ، وكان شعب « آتينا » من الخمول وقلّة العدد بحيث كان « دارا » يجهل عنه كلَّ شىء ، فسأل مَنْ يكونُ هؤلاء الآتينيون ؟ فأخبروه خبَرَهم ، فأخذ قوسَه وشدَّه ورمى بسهمٍ إلى

(١) تفرقوا أيدى سبا : تشتتوا . (٢) اندلع لسانه : خرج من فمه .
(٣) على غرار : على مثال .

كَبِدِ السماء(١) وقال :

— « ساعدينى أيتُها الآلهة على الانتقامِ من الآتينيين . »

وأصبح كلما تناول طعامه ، ذكّره الخادم بالآتينيين وقال :

— « مولاى لا تنسَ الآتينيين ! »

وبعد فترةٍ قصيرةٍ من الزمن قرّر « دارا » أن يؤدّب هؤلاء الآتينيين الوقحاء(٢) ويؤدّبَ معهم كلّ الشعوب الإغريقيّة التى لا تفتأ توقد نيران الفِتَن وتُغْرِى إخوانها فى سواحل آسيا الصغرى بالتمرُّد والعصْيان .

فجهّز لتأديبهم جيشاً كبيرًا ، وأمر قوّادَه بأن يقودوا إليه سكان « آتينا » مكبَّلين بالحديد ، وما شك أحدٌ فى سهولة تلك المهمة ويُسْرِها(٣) ، فأنَّى لمدينةٍ صغيرة منعزلةٍ عن العالم أن تقاومَ جيش ملكٍ عظيم تخضعُ له الدُّنيا وترفرفُ راياتُه على القريب والنائى

(١) كبد السماء : وسط السماء . (٢) الوقحاء : جمع وقيح والوقيح والوقح من قل حياؤه .

(٣) يسرها : سهولتها .

من المدائن والأقطار .

بعث « دارا » إلى بلادِ اليونان بفرقةٍ من المشاة ، وبأخرى حملَتْها السّفن ، فاجتاحتا شمالَ اليونان ولم تصادفا أيّة مقاومةٍ تُذْكر ، فلمّا عَلِمَ الآتينيون بالأمر لم يتملكهم الذُّعْر ولا فتَّ الخوفُ فى أعْضادِهم(١) ، بل حَزَمُوا أمرهم وعزموا على القتال ، وكان من الطبيعيّ أن يفكروا فى حلفاء يشدُّون أزرهم فى الحرب ، فانصرف تفكيرهم إلى « إسبرطة » تلك المدينة الوحيدة التى اُستطاعَتْ أن تواجه « آتينا » وتشاطِرها العزّ والسُّؤْدد ، فاختاروا رسولًا من كبار العَدَّائين(٢) ومَهَرَتِهم من أولئك الذين كانت الدولةُ تستخدمُهم فى حَمْلِ الرّسائل ، وإبلاغِ أوامرها إلى الجِهات النّائية ، وحمَّلُوه الرسالةَ إلى « إسبرطة » .

ولقد احتفظ لنا التاريخُ باسم ذلك العدّاء الهُمام(٣) الشّجاع ،

(١) فت فى أعضادهم : أضعفهم وكسر قوتهم .

(٢) العدائين : جمع عداء الشديد الجرى والركض .

(٣) الهمام : صاحب الهمة .

إِن أسمه « فيدپّوس » فانطلق على أقصى ما يستطيع من سُرْعة ، وأتَمَّ رحلتَه فى خمسة أيَّام ، وضرب بذلك الرّقْم القياسىَّ فى سرعة العَدْو(١) على حدِّ تعبيرنا العصرىّ اليوم ، وإِن يكن قد صادَفَهُ فى طريقه حادثٌ غريب :

بينما كان هذا العدَّاء يجتاز جبل « الپارتنون » التقى برجلٍ قصيرِ القامة أقرنِ الرأس(٢) ، مُمْسِكٍ بمزمارٍ فى إِحدى يديه ، فقال له ذلك الرّاعى الغريب المنظر :

— « اُسألْ مواطنيك يا "فيدپوس" لماذا اُنصرفوا عَنّى وحرمونى التجلّة والتّعظيم ؟ . . لئن لم يكن لى هيكلٌ لديهم إِنّى مع ذلك إِلهٌ صغيرٌ أُحِبُّهم وأرْعاهم ، وقد أستطيعُ فى هذه الآونة أن أنفعهم كل النّفع . »

وما إِنْ قال ذلك حتى اختفى وتوارى عن الأنظار ، فعرف العدّاء أن محدِّثه كان الإله « پان » فنقلَ حديثَه إلى الآتينيين ،

(١) العدو : الركض. (٢) الأقرن : ما له قرنان.

فقرَّروا أن يشيِّدوا له هيكلاً صغيرًا فى جانبٍ من جوانب « الأكروپول » فى أوّل فرصة تُتاح لهم ، فقد كانوا على حالٍ لا يستطيعون معها إِغفال أىّ طلب يتقدَّمُ به إِليهم(١) أحدٌ من الآلهة .

على أن العدَّاء « فيدپوس » حينما وصل إلى « إسبرطة » أبْلغَ الإسبرطيين رسالة « آتينا » وحثّهم على الإسراع فى نصْرة شقيقتهم وإِنقاذها من مخالِب الفرْس ، فما رفضُوا الطّلَب ، وعزموا على الاستجابة للنّداء ، وإِرسال جيش منهم إِلى « آتينا » ، غير أنّهم أبْلغُوا الرّسول أنّهُ لا بُدَّ لهم من التريُّث والانتظار وقالوا له :

— « نحن الآنَ فى اليوم التّاسع من القمر ، وقوانينُنا تمنعُ سَيْرَ الجيش قبل أن يبلغَ القمرُ تِمّه(٢) ويصبحَ بدرًا كاملًا . وليس لنا حتى ذلك الحين إلا الدّعاء لإِخواننا الآتينيين بالنّصر

(١) تقدم به إليه : أمره.
(٢) التم : التمام.

والتأييد ، وإلا الصلاة للآلهة بأن ترعاهم ، وتشدّ أزْرَهم ، وتنصرَهم على أعدائهم . »

وساءل « فيدپوس » نفسه بعد سماع ذلك الكلام : أترى شيوخ « إسبرطة » قد سَخِروا منه أم تُراهم صادقين فى عُذْرهم مضطرّين إلى التريُّث إذعاناً لمشيئة الفَلَك ورَغَبات النُّجوم ؟ إنه السؤال الذى بَقِىَ بلا جواب حتّى هذه الأيام . . .

ورأى الآتينيون أنفُسَهم بعد تقاعُس[١] « إسبرطة » وتلكُّئِها عن نَجْدَتهم أنَّهم يواجِهُون أحَدَ أمْرَيْن أحْلاهُما مُرٌّ : فإمَّا الاستسلام وما يتبعه من ذلّ وهَوان ، وإمَّا خَوْضُ غَمرات القتال دفاعاً عن الحِمَى وصوناً للذِّمار[٢] ، ولكنّهم اختاروا الأمر الثانى ، وهبُّوا إلى حِماية بلادِهم والدِّفاع عنها دونَ الغزْو والعُدْوان ، فمشى جيشُهم إلى سَهْلٍ صغير فى شمال اليونان ، وعَسْكَرَ فى

(١) تقاعس عن الأمر : امتنع وتأخر .

(٢) الذمار : كل ما يلزمك حمايته وحفظه ، والحرم والأهل .

مكانٍ يقال له «ماراثون» ؛ ولم يَكَدْ يستقرُّ فى ذلك الموضع حتى وَفَدَ عليه المَدَدُ[١] من أهل « پلاتى » ، و « پلاتى » هذه بقعةٌ صغيرة متواضعة مجهولة الأثر ، لم يتميَّز أهلها بأيّة ميزةٍ من فعالِ المجد والشّجاعة والبُطولة ، غير أن ما قاموا به فى ذلك اليوم ، وما صنعوه من آياتٍ بَواهِر[٢] حقيقٌ أن يجعل تلك المدينة وأبناءها فى مصافّ الخالدين .

وكان الفرسُ بعد أن نزلوا إلى الأرض ، والتقتْ جموعُهم، نظَّموا صفوفهم وتأهَّبوا للقتال واجتياحِ المدُن والقُرى ، وكان فى صفوفهم رجلٌ إغريقىٌّ يدعى « هبياس » ، وهو أحد أبناء « پيزسترات» فظنَّ أنّه إذا خدَمَ الفُرْسَ وأعانَهم على الآتينيين، ودلَّهم على ثغَرات البلاد كافأهُ الفُرْس على صَنيعه ونَصَّبوه حاكماً على « آتينا » ، فاستعادَ فيها منزلته ومنزلةَ أبيه . . . كان يعلِّلُ

(١) المدد : العون .   (٢) بواهر : جمع باهرة تخطف البصر .

نفسه بذلك المنصب ثمناً لخيانته ، غيرَ حافلٍ[1] بما تَصِمُه[2] به الخيانة من وَصَماتِ الإثم والعار ، ولا واجدٍ من طَعْنِه فى السن ومن شعره الأبيض وازِعاً[3] يُقْصِيه[4] عن ذلك المُنْكر .

وبينا كان منهمكاً فى تنظيمِ صفوفِ الأعداء ، أصابته نوبةٌ حادّة من السُّعال والعَطْس ، ماشكّ إلا أنها من فِعل الآلهة لا من فِعْل البَلْغم الذى جمَعَتْه فى صدره الأيّامُ والسّنون ، ولقد هزَّ السُّعال أحد فكّيْه هزًّا عنيفاً انتهى بسقوط سنٍّ من أسنانه إلى الأرض ، فانحنى ليلتقطه حريصاً على أن لا يفقده ، فساوَرَهُ[5] شعورٌ غريب وهو يفتش عنه فقال فى نفسه :

— « أحسبُ أنّى لن أقيمَ بعد اليوم فى أرضٍ إغريقيّة ما لم أعثُرْ على سنّى الضّائعة المفقودة ! . . . »

أمّا القُوّاد العشرة الذين تقلّدُوا زمامَ جيش « آتينا » فكانوا

(١) غير حافل : غير مكترث . (٢) وصمه : عابه وعيره .
(٣) وازعاً : رادعاً . (٤) يقصيه : يبعده . (٥) ساوره : ركبه .

واقفين فى مواجهةِ الفُرْس ، يَزِنُون الأمورَ بنظراتهم المتّقدة ، ويتأهّبون للانقضاض بجنودهم المصطفّين وراءهم على العدوّ المُغير ، وكان بين هؤلاءِ القوّاد رجلٌ يختلفُ بمظهره وأَطْواره عن بقيّة الرّجال، ويدعى « ملتياد » ، وكان شابًّا فى رَوْنَق الشّباب ، بادىَ القوّة ، عريضَ المنكبَيْن ، واسعَ الصّدْر ، مفتول السّاعدَيْن ، ينحدر أصلُه من « آتينا » ، ولكنه لم يُقْبِلْ منها بل من مدينةٍ أخرى وضيعةِ الشأن كان هو حاكمها المُطاع وسيّدَها الأعلى .

ولو شئنا أن نَرْوِىَ كيف استطاع عمّه « ملتياد الكبير » أن يرقى إلى منصبِ الحاكم فى تلك المدينة لطالَ بنا الشّرح والوَصْف ، ولاحتَجْنا إلى مجلّداتٍ برأسها فى تصوير ذلك العمّ الدّاهية ، ونَشْر حِيَله وأعماله الخاتِلة[1] ، كذلك كان الشابّ صورةً صادقةً من عمّه ، يحكيه فى حُبّ المغامرة ولا يقلّ عنه أطماعاً ومطامح ، وكان فضلاً عن ذلك يخالجُ صدرَه على « هبياس »

(١) الخاتلة : الخادعة .

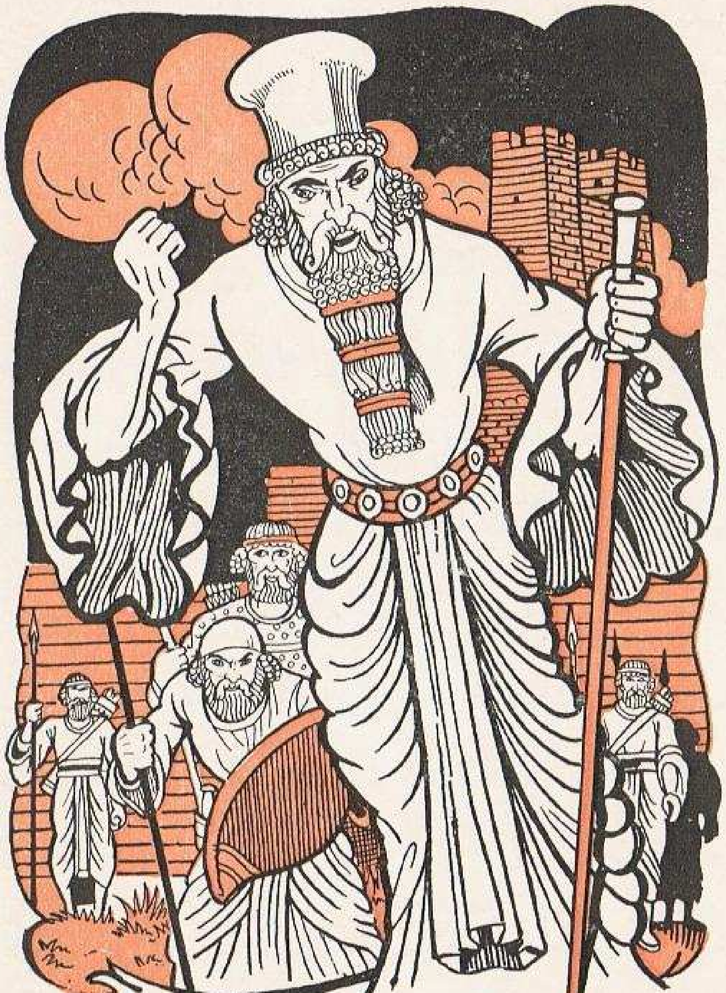
وأسرته حقدٌ دَفِين يعادلُ حبَّه لوطنه الأوّل ، ولقد دلَّ على ذلك الحبّ بما قام به من جلائل الأعمال .

وقفَ القُوّاد الآتينيُّون ، كلٌّ على رأس جيشه ، وهم متحفّزون للقتال ، على علم منهم بأنهم سيخوضون معركةً خاسرةً لا أملَ لهم فى النّصْر فيها ، فكِفَّةُ[١] أعدائهم أرْجَحُ وَزْنًا وأثقلُ عددًا وعتادًا ، وكان « ملتياد » الشّابّ فى طليعة المتحفّزين إلى القتال مع قلّة العدد والسّلاح .

وتبادل القوّاد الرّأىَ وقلّبُوه من جميع الوجوه ، فقرّ قرارُهم على أن يتولّى « ملتياد » قيادةَ المعركة .

وانْبَلَجَ[٢] فجرُ اليوم التالى ، ولم تكد الشمس تطلع بعده حتى كانت حرارةُ أشعّتها تغمرُ ذلك السّهل وتُحيله أرضًا يابسةً قاسية ، ورأى الآتينيُّون أن يفرّقوا جيوشَهم بحيثُ يقابلُ كلٌّ منها جيشَ الأعداء ، ولمّا كانوا أقلَّ عددًا فقد كاد يخلو قلبُ

(١) الكفة من الميزان : ما يجعل عليه الموزون . (٢) انبلج : طلع .



« وعنى " دارا " عناية عاجلة بالاقتصاص من أهل " ميله " . . . »

(صفحة ٢٣)

جيوشِهم من الجند . وكان أهل «پلاتى» يؤلِّفون المَيْسَرة[1] ، وكان الآتينيُّون يحاربون لأوّل مرّةٍ جيوشَ الفرس ، ولكنهم مع ذلك لم تُدْهِشْهم بِزَّةُ الأعداء[2] ولا أَرْهَبَتْهُم الأسلحة الغريبة التى كانت تتقلَّدها جموعُ أولئك الآسيويّين .

أعطيت إشارةُ الهجوم فانقضُّوا على برابرةِ آسيا لا تفصلهم عنهم إلا ثمانى مراحل[3] ، وشاءوا بهجومهم أن يقلِّلوا من فترةِ الزّمن التى يتعرّضون فيها لسِهام الأعداء ورماحهم .

وكان هجومُ الإغريق من العُنْفِ والشدّة بحيثُ أَذْهَلَ الفُرْس ، وقد كانوا يظنُّون أنهم سوف يكونُون البادئين فى الهجوم على عدوٍّ هَيِّنِ الشأن ، قليلِ العَدَد ، متجمِّع تجمُّعَ الكُرة دفاعاً عن نفسه .

وقاوَمَ قلبُ الجيش الفارسىّ مقاومةً عنيفة ، وكان يتألَّفُ

(١) الميسرة : الشمال . (٢) بزة الأعداء : هندامهم وملبسهم .
(٣) المرحلة : مقدارها مئة وخمسون متراً .

من خيرة المحاربين ، وأتبعَ المقاومةَ بالهجوم ، فحطَّم صفوفَ الآتينيين ، غير أن النَّصْر فى الميْمنَة والمَيْسرة كان للإغريق ، فما لبثُوا أن ساروا منهما إلى القلْب فأسْعَفُوا رفقاءهم وألْحقُوا بالفرْس هزيمةً شنْعاء .

وتقهقرَ الفرسُ فى فوضى واضطرابٍ إلى سُفُنهم ومراكبهم الرَّاسية على مَقْرُبَةٍ من الشاطئ ، ولَحِقَ بهم الآتينيُّون إلى البحر وهم سُكارى من خمرة النَّصْر والظَّفَر ، يحاولون منْعَ فُلول العَدُوّ من أن تركبَ السّفن وتلوذَ بالفرار ، فشقَّ[1] عليهم ذلك وتعذَّرَ ، ولكنّهم استطاعوا أن يحطّموا سبعَ سفنٍ للأعداء ، وفى هذه المعركة لقى « سيناجير » حَتْفَه ومات ميتةَ الأبطال ، و « سيناجير » هذا شقيقُ « أشيل » الرّوائى المعروف فى تلك الحِقْبة .

أمّا كيف مات هذا البطل فقِصّةٌ من أرْوَعِ قصصِ البطولة

(١) شق عليهم : صعب وتعذر .

والبسالة ، فقد كان هجَم على سفينةٍ من سفنِ الأعداء ، وأمْسَكَ حاجزَها بيده اليمنى محاولاً الصُّعُود إليها ، فضرَبَهُ جندىٌّ فارسىٌّ بسكّينه فقطع يمينَه ، فأمسك الحاجزَ على الفوْر بيده اليُسْرى ، فقطعهَا الفارسىُّ بضربةٍ أخرى . وتقولُ الأسطورة إن « سيناجير » بعد فقد يدَيْه أمْسكَ حاجزَ السفينة بأسْنانه ، ولم يتخلَّ عنه إلا بعد أن ضَرَبَ الفارسىُّ عُنُقَه .

انتصر الآتينيُّون ولكنَّ الخطرَ كان لا يزال محلّقاً فوق رؤوسهم ، ومخيِّماً على بلادهم ، ذلك أن فرقةً من فرقِ الجيش الفارسىّ كانت قبل المعركة قد انفصلَتْ عن الجيش ، ومشت إلى « آتينا » رغبةَ أن تستولى عليها بغْتَةً وفُجاءَةً ، فعلِمَ الآتينيُّون بالأمر فجدُّوا فى السَّيْر إلى « آتينا » على ما كانوا عليه من تعبٍ وقوًى منْهوكة ، واستمرُّوا يمشُون بل يطيرُون ثمانى ساعات متواصِلة ، حتى قطعوا السبيلَ على العدوّ ، فما كان من الفرس ،

وقد رأوا الطرق تَمُوجُ وتعجُّ[١] بجند الإغريق إلَّا أن يعودوا إلى سُفُنهم ويُقلِعُوا[٢] بها إلى شواطئ « آسيا » ؛ وهكذا نجَت اليونان من شرِّ العُدْوان .

ولعلَّه من أشقِّ الأمور على الواصِف أن يصفَ الفرَحَ الذى اُستولى على المحاربين الإغريق فى مساءِ معركة « الماراتون » ، فبينما كان القُوَّاد منهمكينَ فى دَفْنِ الموتى حتى لا تضلَّ فى مَتاهاتِ[٣] العَدَم وتُحْرَمَ الخلود ، سار إلى « آتينا » عدَّاء مشهور قوىُّ البدَن فاز غيرَ مرّةٍ فى سباق العَدْو فكان فيه البطل الأول ، فقطع المسافة بين « ماراتون » « وآتينا » فى ليلةٍ واحدة ما توقَّف فيها ولا اُستراح ، فلما بَلَغَ المدينة أخذ يطرقُ منازلَ القُضاة باباً باباً ، ويُنْهى إلى كلٍّ منهم[٤] بخبر ذلك النَّصْر

(١) عج : صاح ورفع صوته .
(٢) أقلع الملاح السفينة : رفع قلعها أى شراعها .
(٣) المتاهات : جمع متاهة وهى المكان يتيه السائر فيه ويضل .
(٤) أنهى إليه بكذا : أنبأه وأخبره .

العجيب ، ثم اُنقلب ميّتاً !

ووصل إلى « آتينا » بعد اُنتهاء المعركة ألفان من أبناء « إسبرطة » فشكرهم الآتينيُّون وقادُوهم إلى مَيْدان القتال نزولاً عند رغبتهم ليَرَوْا بأُمِّ العَيْن موتَى الفُرْس ، ويعرفُوا أىَّ صِنْفٍ من النّاس يُشْبِهُون . . .

الرِّياح أقوى مِن الملوك

بلغتْ مسامعَ « دارا » أنباءُ الهزيمة التى مُنِىَ بها[١] قُوّاده فى معركة « ماراتون » فاستولَى عليه غضبٌ شديد، وعزَّ عليه أن يصدِّق تلكَ الأنباء، وحزَّ فى صدره[٢] أن يتحدّاه للمرّة الثانية شعبٌ صغيرٌ كشَعْبِ الإغريق، فأصدر أمْرَهُ بإعدادِ جيشٍ جديدٍ يتولَّى هو قيادتَه، ويضرب به الإغريقَ ضربةً قاضية، وعيَّنَ ابنه « كزرسيس » نائباً عنه فى تولِّى زمامِ المُلْك مدّةَ غيابه، غير أن المنيّةَ فاجأت « دارا » واستوَى ابنُه على العرش[٣] من بعده.

(١) منى بها : أصيب بها. (٢) حز فى صدره : مزق صدره.

(٣) استوى على العرش : جلس عليه.

واضطُرَّ « كزرسيس » فى بدء عَهْده إلى قَمْعِ ثورةِ المصريّين الذين كانوا قد شقُّوا عصا الطَّاعة عليه، فلما أخْمَدَ ثورتهم، وأَمِنَ جانِبَهم، أكملَ ما كان قد بدأه أبوه من استعدادٍ لقتالِ الإغريق.

فقضَى على ما يقالُ أربعَ سنواتٍ يجنِّدُ الجند، ويجمعُ المُؤَن والزّاد بحيثُ تفِى بحاجاتِ ذلك الجيش العظيم، فما نفعُ الجيش اللهام[١] إذا أعْوَزَهُ الطعام فمات جوعاً أو عطشاً؟ وكان الملك يعلمُ أنَّ البلاد التى سيجتازها بلادٌ فقيرةٌ لن يجدَ فيها ما يكفى لِغذاء جيشه.

وفى سبيل ذلك جَمعَ من حُلفائه وأتباعِه الدّائرين فى فلك إمبراطوريته الواسعة، عددًا عظيماً من المشاة والفرُسان ورُماةِ السّهام وحَمَلة الرماح، كما جمع منهم أيضاً الملّاحين، وسُفُنَ الحرب، ومراكبَ النَّقْل، بَلْهَ الأطعمة[٢] والمعادن.

(١) الجيش اللهام : الجيش العظيم الذى يلتهم كل شىء.

(٢) بله الأطعمة : فضلا عن الأطعمة.

وعمد فى آخر الأمر ، إشباعاً لشهوة حقده وضغينته ، إلى القيام بأمرين كانا من أعجب ما تفتق عنه ذهنه وخياله ، أولهما أنه أمر بحفر قناة بحرية تقطع برزخ جبل « أتوس[1] » ، وثانيهما إنشاء جسر من المراكب على مضيق « إيلسبون[2] » .

ولست تجهل أيها القارئ أن الممر السهل الذى يصل آسيا بأوربا هو هـذا الذراع الضيق من البحر يسمى اليوم « الدردنيل » وكان الإغريق القدماء يسمونه « إيلسبون » . وما كان لجيش « كزرسيس » إلا أن يجتاز هذا الممر الضيق ، فمن أجل ذلك ملأه الملك بالمراكب المسطحة العريضة ، وربط بعضها إلى بعض بالحبال ، ليجعل منها جسراً يمر فوقه الرجال والخيول ، وكان طول ذلك الجسر سبع مراحل .

وكانت خطة الملك أن يجتاز الجيش ذلك الجسر حتى إذا

(١) جبل من جبال اليونان فى مقدونية .

(٢) الاسم القديم لمضيق الدردنيل فى تركيا اليوم .

وصل إلى الأرض الأوربيـة ، سار فى محاذاة[1] الشواطئ ، وتبعه الأسطول غير مبتعد عن الساحل ، فكان لا بد للأسطول إذن من أن يدور حول الكتلة الهائلة من جبال « أتوس » الممتدة إلى البحر ، والتى لا يصلها بالقارة الأوربية غير شريط ضيق من الأرض ، ولقد ذكر الملك أن الرياح شديدة هائجة فى تلك البقعة ، وأن أسطولاً من أساطيل فارس لقى منها فيما مضى عنتاً[2] ومشقة .

وخيل إلى « كزرسيس » ولا شك أن آلهة جبـال « أتوس » لن ترضى عن عمله ولن تقره ، وأن أسطوله سيتحطم حتماً على ريود[3] تلك الجبال ، ولكنه أمر مع ذلك بحفر قناة فى ذلك البرزخ تتسع لمرور سفينتين معاً من سفن الحرب ، فنهض بالعمل مهندسان فارسيان كان أحدهما قريباً من أقارب

(١) حاذاه محاذاة وحذاء : كان بإزائه . (٢) العنت : الشدة والمشقة .

(٣) الريود : جمع ريد وهو الناتئ من صفحة الجبل .

الملك وأعْظَمَهم شأناً فى جميع بلادِ فارس ، فكان السيّد المطاع فيما يأمرُ به ويَنْهى ، وكان صوتُه يُلَعْلِع(١) كالرعد فى كلّ كبيرةٍ وصغيرة ، فما كاد ينتهى من شقّ القناة حتى وافتْه المنيّة ، فحزن عليه الملكُ حزناً شديدًا وعدَّ موتَه خسارةً كبيرة، وكارثةً فادحة ، فجىء بطوائفَ كثيرةٍ من الرجال من كلّ شعبٍ وأمّة ، ليعملوا فى حَفْر القناة وإعْدادِها الإعْدادَ الصّالحَ لمرورِ السّفن ، فاستمرّوا يشتغلون ثلاثَ سنوات تحت ضَرَبات السِّياط ، ولكنْ على غير جَدْوى ، فكلّما حفرُوا جانباً سدّتْه الرِّياح بالرّمال المنْهارة من أعالى الجبال ، وعاد العاملونَ إلى الحفر، وهكذا دوالَيْك .

ويقالُ إن الفينيقيّين هم وَحْدَهم الذين استطاعوا حفرَ مثل تلك القناة ، بأن جعلوا عالىَ جوانبها أعْرضَ من سفْحِها(٢) ، وبذلك أمنوا انهيارَ الرّمال .

(١) يلعلع : يدوى .

(٢) السفح : سفح الجبل عرضه المضطجع الذى يسفح فيه الماء .

عانى الفرْسُ الأمرَّيْن(١) فى حَفْرِ تلك القنـاة إرضاءً لرغبة ملكهم المستبدّ الطّاغية .

ويقولُ المؤرّخ « هيرودوت » الذى يرْوى تلك الحوادث : إن ملكَ الفرس لم يأمُرْ بذلك العمل الضَّخْم الهائلِ إلا رغبةً منه فى أن يتركَ بعده أعظمَ أثرٍ يدلُّ على جبرُوته(٢) وقوّة سُلْطانه .

وممّا لا شكَّ فيه أنَّ الإغريق كانوا على علمٍ بما يجرى فى تلك البُقْعة من تأهّبٍ واستعداد ، فأرسلوا ثلاثةَ جواسيس منهم إلى مدينة « سارد » حيثُ يُقيمُ الملك وأركانُ حرْبه ، ولكن كَشَفَ الفرسُ أمْرَهُم وعذَّبُوهم عذاباً شديدًا قبل أن يقتلوهم ، فسَمِعَ بهم الملك فأمر بوَقْفِ حُكْم القتل فيهم وقال لرجاله بلهجةٍ ساخرة :

— « أرُوهم كلّ ما عندنا ، وليستعرِضُوا جميعَ فرق المشاة

(١) الأمرين : الفقر والهرم أو نحوهما . يقال : لقى منه الأمرين أى شراً شديداً .

(٢) الجبروت : القدرة والسلطة .

والفرسان ثم أطلِقوا سَراحهم ولا تمنعُوهم من الذهاب إلى حيثُ يشاؤون ، فإنهم إذا بلغوا بلادهم وأنذروا إخوانَهم بالخطرِ الجسيم المُحيق(١) بهم فلن ينتظر الإغريقُ طويلاً حتى يستسلموا ويكُفُّوا أنفسَهم وطأةَ الغزو . »

وكان فى مدينة « سوز » كذلك رجلٌ إسبرطىٌّ ، فأَراد هو أيضاً أن يُنْذِرَ قومَه بما لدَى الفُرْسِ من جيوشٍ عظيمة ، وعتادٍ زاخر ، ولكنه خَشِىَ أن يفتّش الفرسُ رسولَه ويَطّلِعُوا على الرّسالة التى سوف يحمِّلُه إياها إلى قوْمِه ، ففكّر فى حيلةٍ يبلُغُ بها مآرِبَه(٢) وتُنقِذُ رسولَه من رقابةِ الرُّقباء ، فهداهُ التفكيرُ إلى حيلةٍ تُشبِهُ تلكَ الحيلةَ التى كان قد استَنْبطَها(٣) حاكمُ « ميله » قبل ذلك بعشر سنوات ، فعمَدَ إلى لوحَيْن صغيرَيْن من الخشب مُغطَّيَيْن بالشَّمع ، من تلك الألواح التى كانت تستعملُ

(١) المحيق بهم : المحيط بهم . (٢) المأرب : الغاية والمطلب .
(٣) استنبطها : اخترعها .

للكتابة ، فنزعَ عنهما الشَّمْعَ ، وحفَرَ على الخشبِ ما أرادَ أن ينقلَه إلى أهلِه وبَنى وطنِه ، ثم غطَّاهُما ثانيةً بطبقةٍ من الشّمع وقدَّمهما إلى الرَّسُول ، وأمره بأن ينقلهما إلى « إسبرطة » .

ولَشَدَّ ما كانت دهشةُ ملكِ « إسبرطة » ووزرائِه ، عندما تلقَّوْا ذَيْنك اللَّوْحين ، ورأَوْهما خاليَيْن من كلّ كتابة ، ولم يقطَعْ عليهم سبيلَ الدَّهْشة والاستغراب إلا زوجةُ الملك ، فأَوْحَى إليها ذكاؤها أنَّ تحتَ الشّمعِ رسالةً أو بلاغاً فقالت :

— « انزعُوا الشَّمع ، فنفسى تحدِّثُنى أنَّ تحتَه رسالةً من الرَّسائل . »

وأخذ القومُ بنصيحتِها ، فنزعوا الشَّمْعَ وقرؤُوا على اللَّوْحين الرسالةَ التى بعثَ بها إليهم مُواطِنُهم الإسبرطىّ .

وجمع « كزرسيس » جيشَه فى مدينة « سارد » ، وهَمَّ بالمسيرِ به لولا نبأٌ سيِّئٌ وصل إليه ، وعلم منه أن الجسرَ المشيَّد من أسطحةِ المراكب العريضة فوق مَضيق « الإيلِسْبون » قد

تحطَّمَ ، فما كاد العُمَّال يفرغُونَ منه حتى هبّت الرّياحُ الهُوج[١] وأثارتْ أمواجَ البحر ، فقطعت الحبالَ ، وحطَّمت الجسرَ ، وابتلعت المراكب ، فحرّقَ الملكُ الأُرَّمَ[٢] غيظًا ، وغضب أشدَّ الغضَب على فقدانِ تلك الوسيلة التى ابتكرها لعبورِ المَضيق ، فأمر أن يُجْلَدَ البحرُ ثلاثمائة جلدة ، وتستخدم فى ذلك أقوَى السِّياط . وأن يُطرَحَ فى أحشائه زوجان من القيُود ، وأن يُشتَمَ ويُلعَنَ ويقال له :

« أيُّها البحر !

إنّ مولانا وسيِّدَنا يعاقبُك ويقتصُّ منك لما ارتكبتَ من إثمٍ فى حين أنه ما عاداكَ ولا أهانكَ . . .

وسواء شئتَ أم أبيْتَ فإنه سيجتازُك ويَعْبُرُ منك إلى غايته وهَدَفِهِ » .

(١) الرياح الهوج : الرياح الهائجة . وهوج جمع أهوج .
(٢) الأرم : الأضراس . يحرق الأرم : يحكها من غيظه .

ولم يقتصِر الملكُ على هذا الأمرِ الغريبِ الذى أرادَ به معاقبَةَ البحر ، بل أصدر أمرًا آخرَ يقطرُ بالظُّلْم والاستبداد ، فقد حكم بضربِ عُنُقِ كلّ مَنْ تولَّى إدارةَ العمل فى بناء ذلك الجِسْر الذى حطَّمته الرّياح والأمواج .

وبعد أن شفى الملك غليلَه ، وسكن جأشُه[١] أمر بإعادةِ بناءِ الجِسر ، بل بتشييد جِسْرَيْن لا جسرٍ واحد ، وحرصَ المهندسُون فى هذه المرّة على توخِّى منتهى الحَذَر والحَيْطة[٢] منعًا من تكْرارِ المأساة ، وفرارًا من غضَبِ الملك وظُلْمه ، فعينُوا وضْعَ المراكب بحيثُ يأمنُون عليها عصْفَ التيّار تحت الماء ، ورمَوا المراسى فى اتّجاهِ الرِّياح ، واستَصْنَعُوا حبالاً شديدةً قويّةً من القُنَّب[٣] والكتَّان[٤] ثم فرشوا سُطوحَ المراكب

(١) الجأش : القلب والصدر . يقال : جاش قلبه : اضطرب من حزن أو فزع .
(٢) الحيطة : بكسر الحاء وفتحها : الاسم من احتاط أى أخذ فى أموره بالأحزم .
(٣) القنب : بكسر القاف وضمها : نبات يفتل من لحائه حبال وخيطان .
(٤) الكتان : نبات له زهر أزرق تنسج منه الثياب وله بزر يعتصر منه زيت يستصبح به .

بأعمدةٍ وألواحٍ من الخشب ليضمنُوا متانتَها وثباتَها ، وصَبُّوا عليها الرَّمْلَ والتُّراب ، ودقُّوه فوقها ، وأعْلَوْا حواجزَ المراكبِ ليمنعُوا الخيلَ من رؤية البحر وهيَجانه .

فرغوا من كلّ ذلك فى مطلَعِ الرّبيع ، فغادر الملك « كزرسيس » مدينة « سارد » وسار مُتَّجِهاً إلى البحر ، وكان نصفُ جيشه يسيرُ أمامه ، والنصف الثانى يسير وراءه ، وكان فى وسط المسافة بينهما نحوُ ألفِ فارس من أبْرَعِ الفُرْسان ، يتبعهم ألفُ جندىٍّ من المشاة مُنكِّسى رؤوس الرِّماح إلى الأرض ، ووراء هؤلاء جميعاً عشرة جيادٍ مقدّسة من أكرمِ الخيول وأعْرَقِها أصالة ، تجرُّ مركبةَ الإله ، وكانت خاليةً خاويةً ، وقد أمسك السّائق بالأعنّة(١) وهو ماشٍ على قدميه . ثم جاءت بعدها مركبةُ الملك تجرُّها كذلك الخيولُ المطهّمة ، ومشى وراءها الحرسُ وفيهم ألفُ رامحٍ(٢) صُنعَتْ مقابضُ رماحهم من

(١) الأعنه : جمع عنان وهو الزمام والرسن . (٢) الرامح : حامل الرمح .

الفضّة أو الذَّهب .

وعسكر « كزرسيس » فى أرض « أبيدوس » وبنَوْا له على قِمّة الجبل سطحاً من الحجارةِ البيضاء ، شَهِدَ منه منظرَ جيشه العظيم وأسطوله الضَّخْم ، فلمّا اكتحلتْ عينه بذلك المنظر البَهيج الرّائع قال :

— « إنّى لأَسْعَدُ السُّعَداء ! .. »

ولكنّه اندفع بعد قليلٍ يبكى ويذرفُ(١) الدَّمع ، فسأله عمُّه عن سببِ بكائه وعن الدَّافع الذى يُحزِنُه فقال له :

— « إنى مُشْفِقٌ(٢) على هؤلاءِ الرِّجال راثٍ لحالِهم . . . انظرْ ما أكثرَ عديدَهُم(٣) ! إنّهم لن يعيشَ منهم أحدٌ بعد مئةِ عام ! . . . »

فقال له عمُّه :

(١) يذرف الدمع : يسكب الدمع .
(٢) مشفق : خائف . (٣) ما أكثر عديدهم : ما أكثر عددهم .

— « ليستِ الكارثةُ أن يموتَ الإنسان ، فلقد تكونُ الحياةُ أحياناً كريهةً ثقيلة حتى ليَبْدُو الموتُ منجاةً(١) منها وخلاصاً ، ولستُ أكتمكَ أنّ الموتَ ليس مدعاةَ ما يساوِرُنى من القلق ، وإنّما يُقلقُنى عليك أمْرانِ ينبعِثان من عظمةِ جيشِك : أمّا الأوّلُ فإنّ سُفُنَكَ كثيرةُ العدد ومن المتعذّر عليها أن تجدَ فُرْضَةً(٢) تأوِى إليها ، فالعواصفُ والزّوابع هى أحياناً أقوَى من بنى الإنسان . وأمّا الأمْرُ الثّانى فإنّ الأرضَ لن تستطيعَ أن توفِّرَ الغِذاءَ لجيشِكَ العرَمْرَم(٣) فكلما ابتعدتَ عن قواعِدِكَ عرَّضْتَ جيشَكَ للمجاعة . »

وما من شكٍّ فى أن هذا القولَ كان كلامَ رجلٍ حكيم ، فعندما تتجاوز قوّة الإنسان الحَدَّ المألوف ، وتُمعِن فى الزِّيادة ، تبتعد عن الحدِّ الذى يمكن الاستفادة منها ، وتعمُّها الفوضى ،

(١) منجاة منها : خلاصاً منها . (٢) الفرضة من البحر : محط السفن .
(٣) الجيش العرمرم : الجيش الكثير .

وتستحيلُ إلى العَدَم .

لم يَرْتَحِ الملك « كزرسيس » إلى كلام عمّـه ، فجامَلَهُ ما استطاع ، ثم أعاده إلى مدينة « سوز » ليسهَرَ على شؤونِ الإمبراطوريّة .

وقُبَيْـلَ طُلُوعِ الفجر فى اليوم التّالى ، أحْرَقَ البُخُور فوق الجِسْر ، ونُثِرَتْ فوق سَطْحِه الأزهارُ وأوراقُ الشجر ، ولما مَسَّ أوّلُ شُعاعٍ من الشمس صفحةَ المياه أخذ « كزرسيس » كأساً من ذَهَب وشرب نَخْبَ(١) البحر الذى كان قد أَمَرَ أن يُجْلَدَ بالسِّياط منذُ حين ، ودعا لإله « الإيلسبون » أن يوفقِّه فى مَسْعاهُ وفى حَمْلَتِه ، ثم رمى فى البحرِ كأسه الذّهبيّة المطعَّمة بالجواهر الفارسيّة ، ولعله كان خائفاً من بَطْشِ البحر ، نادماً على أن كان أهانَ ذلك الماردَ الجبّار .

وعَبَرَ الجيشُ الجسْرَ ، وعَبَرَهُ معه الملك ، واستمرّ الفرسُ

(١) النخب : الشربة من الخمر وغيرها يشربها الرجل لصحة حبيبه أو غيره .

يجتازونه سبعةَ أيّامٍ بلياليها دون انقطاع تحت ضَرَبات السِّياط .

وكان جيش « كزرسيس » يتألَّفُ من جميع شُعُوب الإمبراطورية ، فالفُرْسُ والماديّون فيه كانوا يلبسون خوذًا من الصُّوف ، ودُرُوعًا من الزَّرَد (١) ، ومعاطِفَ متعدّدة الألوان ، أمّا سلاحُهم فكان الرُّمْح والقوْس والسَّيْف المعلّق فى الحِزام ، وكانت خُوَذُ الأشوريّين مجدولةً (٢) بطريقةٍ غريبة ، وكان كلٌّ منهم يُمْسِك فى يده هِراوةً من الخشب غُرِسَت فيها قِطَعٌ حادّة من الحديد ، وكانوا يلبسون دُروعًا من الكتّان المنسُوج نَسْجًا رفيعًا مُلْتحِمًا ، مستعيضينَ بها منذ عهدٍ قديم عن دُروعِ الحديد ، لأنّهم رأَوْا أن الكتّان يَصُدُّ الضَّرْبةَ ويُزَحْلِقُها عن هَدَفها .

وكان هناك جنودٌ من شُعوب أخرى مسلّحة بالمناجِل (٣) ؛ أمّا الشُّعوب الوافدة من الهند فقد كانت تَرْتَدِى مُلاءً (٤) من القطن

(١) الزرد : الدرع المزرودة يتداخل بعضها فى بعض . (٢) مجدولة : مضفورة .

(٣) المناجل : جمع منجل وهو آلة حديد عكفاء يقضب بها الزرع ونحوه . من نجل الشيء إذا رمى به . (٤) الملاء : جمع ملاءة وهى ثوب يلبس على الفخذين .

الذى كان الأقدمُون يَرَوْن فيه أمرًا غريبًا ويسمُّونه صوفَ الشَّجَر .

وأمّا الشُّعُوب الآتية من شواطئ بَحْر الخَزْرَج فقد كان بعضُها يرتدى ملابسَ من شعر المِعْزَى ، وبعضُها يَنْتَعِلُ أحذيةً حتى الرُّكَب ، وبعضُها الآخر يلتحفُ بأرْدِيَةٍ غريبة الألوان والأصباغ .

ومشى وراءَ هؤلاء رجالٌ من « تراقيا » متعصِّبين (١) بعِمامات (٢) من فِراء الثعالب ومنتعِلينَ أحذيةً من جلودِ الأيائل (٣) ، وتبعهم جنودٌ كثيرون ينتمون إلى مختلفِ الشعوب والبلاد ، ففريقٌ يلبسُ خُوَذًا من الشَّبَه (البرونز) مزدانةً بقرُون الثّيران وآذانِها ، ومصنوعةً من الحديد ، وفى وسطها ريشة طائر ، وفريق يلبس خُوَذًا من الخشب ، وآخر تسلَّح بالحِراب ، إلى أقوامٍ كثيرين من كل جنسٍ ومِلّة ، يتهادَوْن (٤)

(١) تعصب : شد العصابة . (٢) العمامات : جمع عمامة ما يلف على الرأس .

(٣) الأيائل : جمع أيل حيوان كالوعل . (٤) يتهادون : يتمايلون .

بغريبِ المناظر والأطْوار ، ولعلَّ أجْمَلَ تلك الأقوام منظرًا وأوْقعَها فى النّفس صورةً وروعةً ، جماعةٌ فى العرب أقبلوا من بلدانِهم البعيدة ، مسلَّحين بالرّماح ، لابسينَ عباءاتِهم [1] الجميلة ، ومتمنطِقين [2] بأحزمةٍ من الجلد ، ولعلَّ أبْعثَها على الخوف والهلع جماعةُ الزّنوج الذين لبسوا جلودَ الأسُود والفهُود وصنعوا أقواسَهم من أعوادِ النخيل ، ورؤوسَ سِهامِهم من الحجرِ المسْنُون ، وجعلوا أسِنّةَ رماحهم قرونَ الغزلان .

ولمّا استعرضَ الملك « كزرسيس » تلك الأمواجَ من البشَر ، أخذ ينظّم صفوفَها ويقسمُها إلى فرقٍ وكتائبَ ليسهل عليه حَصْرُها وعدُّها ، فجمع عشرة آلاف رجلٍ منها ، كلٌّ واحد فى لِصْقِ [3] الآخر حتى غدَوْا كأنّهم كتلةٌ واحدة ، ثم خطَّ حولهم خطًّا مستديرًا ، وأمر هؤلاء الآلاف العشرة بالخروج من

(١) العباءة : كساء مفتوح من قدام يلبس فوق الثياب .

(٢) تمنطق وتنطق : شد وسطه بمنطقة . (٣) فى لصق الآخر : فى جانب الآخر .

الدَّائرة ، وأنْهى البنَّائين ببناء سُورٍ صغير فوق خطِّ الدائرة ، فجمع فيه ما يستطيعُ جَمْعَه من الرّجال ، وهكذا استطاع أن يعدّ جيشه ويقسمه إلى وحداتٍ ، كلّ وحدةٍ منها عددُها عشرةُ آلاف مُقاتِل .

ترى كم بلغ عددُ ذلك الجيش العظيم ؟ إن المؤرّخين القُدَماء يذكرون لنا أرقامًا ضخْمَة ، فعددُه كان على حدِّ قول المؤرّخ « هيرودوت » مليونًا وسبعمائة ألف مُحارِب ، وربما كان هذا الرقم لا يخلو من المبالغة والإغراق [1] وكيفما كان الأمرُ فحَسْبُنا أن نعلمَ أن جيش « كزرسيس » الذى مشى ليجتاحَ بلادَ الإغريق كان جيشًا عظيمًا هائلًا ، حتى إنه عندما اجتاز البقاعَ المتوحّشة من « تراقيا » و « تساليا » ، وشاء أن يُرْوِيَ غليلَه من العطش والظمأ الشّديد استنفدَ جميعَ مياهِ الأنهار . . .

(١) الإغراق : الغلو والمبالغة .

أبلغ إسبرطة

سالَ ذلك البحرُ الخِضَمّ (١) ، وتدفّقَ يكتسحُ بلادَ الإغريق سهلًا سهلًا ، وجبلًا جبلًا ، وكان الإغريقُ فى تلك الأثناء يحاولون أن ينظموا صفوفهم استعدادًا لملاقاةِ ذلك الجيشِ اللَّجِبِ (٢) من الأعداءِ المُغيرين .

وكان الآتينيُّون يعلمونَ حقَّ العلم أنّهم الهدفُ الأوّل لذلك الجيش بعد النَّصْرِ الباهر الذى أحْرَزُوه فى معركة « الماراتون » ، فاجتهدوا أن يجمعوا من حولِهِمْ كلَّ البلاد الإغريقيّة ، وأن يعتمدوا على أبنائِها فى دَفْعِ ذلك العُدْوان .

وتلك لعَمْرى (٣) مهمّةٌ صعبةٌ شاقّة ، لم يكن سببُ الإخفاقِ

(١) الخضم : البحر العظيم .

(٢) اللجب : الشديد اللجب أى الصياح والهياج .

(٣) لعمرى : صيغة للقسم بالعمر .

الأوّل فيها ما كان بين البلاد الإغريقيّة من تنافُسٍ شديد يَرْجِعُ عهدُه إلى أقْدَمِ العصور ، بل كان سببُه البيِّنُ الظّاهر أنَّ معظمَ تلك البلاد لمّا انتهى إليها قدومُ الملك « كزرسيس » بقُوّاته الضَّخْمَة ، وجيوشِهِ الكثيرة ، أدركت أنْ لا قِبَلَ لها (١) بمواجهة ذلك البحر المائِج بالرِّجال ، فآثرت الأمْنَ والعافية ، ورأتْ من الحكمة والصواب أن تخضعَ للفُرْس طائعةً مختارة ، بدلًا من أن تخضعَ لهم عَنْوَةً (٢) واقتدارًا .

وأشارَ النّاصِحُون على الآتينيّين أن يهجروا مدينتهم دون قتال ، وأن يضربوا فى فِجاجِ (٣) الأرض بعيدًا منها ، ويشيّدوا لهم مدينةً أخرى جديدةً يأمنُون فيها على أنفسهم غائلةَ الفُرْس .

على أنَّ كثيرًا من مُدُن الإغريق كانت مع ذلك تتأهّبُ

(١) لا قبل لها : لا طاقة لها ولا قدرة . (٢) عنوة : قهراً وقسراً .

(٣) فجاج الأرض : جمع فج وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين .

للقتال والمقاومة ، مُؤْثِرةً[1] عِزَّ الموت على هَوان الحياة ، وكان فى طليعتها مدينة « إسبرطة » ، فأجمع الإغريقُ أن يطلبوا من « جيلون » طاغية « سرقسطة » القوىّ الجبّار أن يشدّ أزْرَهم ويخفّ إلى نجدتهم .

رضى « جيلون » أن يستجيبَ للنّداء ووعد بأن يُرْسِل مائتى سفينة ، وعشرين ألفَ مُحارب من المشاة ، وألفى فارسٍ من أمْهَرِ الفُرْسان المزوَّدين بالعَتاد الثقيل ، وألفى رامِحٍ ، وألفى ضاربٍ بالمِقْلاع[2] وألفى فارس من خِفاف الفُرْسان ، ووعد كذلك أن يزوّد الإغريق بالمُؤَن والزّاد طولَ مدّة الحرب والقِتال ، ولكنه اشترطَ أن يعيّنَ قائدًا أعْلى على جيوشِ الإغريق .

ولمّا سَمِعَ منه وفدُ « إسبرطة » هذا الشَّرْط قال له :

---

(١) مؤثرة : مفضلة .

(٢) المقلاع : آلة ترمى بها الحجارة ، جمع مقاليع .

— « إنّ " منيلاس " ليَنتحِبَنّ[1] فى قبره لو عَلِمَ أن الإسبرطيّين نزلوا عن قيادةِ الجيش لرجلٍ من " سرقسطة " ! »

فقال « جيلون » وقد ساءه هذا الجواب :

— « إذنْ فاتركوا لى قيادةَ الأسطول ، فإنّى لأَرْضَى بذلك ! »

فقال وفدُ « آتينا » :

— « نحن إلى الجيشِ يا سيّدى أحْوَجُ منّا إلى قائد . . . ونحن أعْرَقُ فى شُؤونِ البحر وأعْرَفُ بأموره من أن نترك تليدَنا[2] الموروث ونرضى بأميرٍ للبحر لا يكونُ مِنّا ! »

فقال « جيلون » وقد طُعِنَ فى كبريائه :

— « حسن . لقد فهمتُ ما تَعْنُون . . . إنّكم فى حاجةٍ إلى رجال لا إلى قُوّاد . . فعودُوا سريعاً إلى بلادِكم ، وقولوا لمواطنيكم إنّهم خسروا ربيعَ الجيوش (وقصد بهذا التّعْبير إلى أنّهم خسروا مؤازرةَ جيشٍ من خير الجيوش ، برفضهم قبولَ شرْطه) .

---

(١) لينتحبن : ليبكين . (٢) التليد : الموروث من المال أو المجد .

وعاد الوفدُ خائباً ، فقرر الإغريق الذين اتَّحدوا على القِتال أن يحمُوا بلادَهم باتباع الُخطة الآتية :

يسدُّون ممرّ « الترموپيل » ، ويُعسْكِرُ أسطولهُم قريباً منه فى انتظار سُفُن فارس .

ويتخيَّلُ النّاسُ عادةً أن « الترموپيل » مضيقٌ مزدحمٌ بالصُّخُور ، ولكن « الترموپيل » فى الواقع شريطٌ ضيِّقٌ من الأرض ، مبلَّلٌ بالماء ، يمتدُّ بين سلسلةٍ من الجبال والبحر ، وتنبعثُ منه ينابيعُ مياه ساخِنَة سُمِّيَت البُقْعَةُ باسمها ، ويزدادُ ضِيقاً فى بعضِ أنحائه حتَّى إنّه لو وُجِدَ فيه حائطٌ متهدِّمٌ لحالَ[1] دونَ المرور من ذلك المكان ، فسارع الإغريقُ إلى بناءِ ذلك الجِدار ، وانتظروا الفرسَ عنده .

اجتمع فى ذلك الشَّريط الضيِّق ٣٨٠٠ جندىّ أقبلوا من مختلفِ البِقاع ، وألفُ رجلٍ من مدينة « فوسيد » ، وفرقة من

(١) حال : منع .

اللوكريّين لا يُعْرَفُ عددُها ، ثم ٣٠٠ إسبرطىّ يقودُهم الملك « ليونيداس » سليلُ « هِرَقْل » وكان قد اختارهم هو نفسه واحدًا واحدًا .

وحينما بدت طلائعُ الجيشِ الفارسىّ اضطرب ذلكَ الجيشُ الصغير المنتظر ، وسرَتْ فيه رعْدَةٌ من الخوف والذُّعْر . وكان أغْلَبُ القوّاد مُجْمِعِين الرّأى على الانسحاب إلى خليج « كورنثيا » ليستطيعوا الدّفاعَ عن جُزُر « البلوبونيز » دفاعاً مُجْدِياً[1] ، غير أنّ « ليونيداس » لم يشأ أن يضحّى بمن سَيَبْقَوْن لملاقاةِ الفرس ، فأقْنَعَ بقيّةَ القوّاد بالبقاءِ والدِّفاع عن البلاد من ذلك المضِيق .

وأقْبَلَ بعد قليل جندى فارسىٌّ يركبُ جوادًا جميلًا ، يستَطْلِعُ طِلْعَ[2] القوّات الإغريقية ويُقدِّرُ شأنَها وعددَها ، فوقع نظرُه على الإسبرطيّين ، وكانت النَّوْبَةُ نَوْبَتَهم[3] فى حراسة السُّور ، فرآهم

(١) مجدياً : نافعاً .

(٢) الطلع : الاسم من اطلع . يقال اطلع طلع العدو .

(٣) النوبة : الاسم من المناوبة أى المداولة والمعاقبة .

قد ركزوا سلاحَهم فوق ذلك الجدار، واستسلم بعضُهم وهم عُراةُ الأبدان إلى الألعاب الرياضيّة، في حين حَفَلَ بعضُهم الآخر بتسريح شعرِهم وترجيله(١)، فعدّهم الفارسيّ وعاد من حيثُ أتى دون أن يكترثوا له ولا رَمَوْا إليه إلّا بنظرةٍ عابرة.

ولم يصدّق «كزرسيس» أن تلك الحَفْنَةَ(٢) من الرِّجال تتأهّبُ لقتالِه ومقاومتِه، فدعا بالخائنِ «ديمارات» واستوضحه شأنَ هؤلاء الرّجال فقال له هذا:

— «مولاي إنِّي لعلى يقينٍ من أنَّ هؤلاء الرِّجال جاءوا ليقاتلوا، فمن عاداتِ الإغريق أن يُسرِّحوا شعرَهم عندما يتأهّبون للقتال ويعرِّضون أنفسهم للموت.»

وانتظر «كزرسيس» أربعة أيامٍ على أملِ أن ينسحبَ الإغريقُ ويلوذوا بالفِرار، ولكنّهم بقُوا في أماكنِهم لا يريمون(٣)

(١) رجّل الشعر: سرحه.

(٢) الحفنة: بفتح الحاء وضمها ملء الكفين والقليل من الشيء.

(٣) لا يريمون: لا يتحركون.

منه ولا يتحرّكون، فثارتْ ثائرتُه وأطلقَ عليهم جيشَ المادِيّين، فقاومهُم الإغريق مقاومة عنيفة، ونجحوا في صدِّهم وتحطيم هجومِهم مستفيدين من ضِيق مَيْدان القتال، ومن خِبْرَتِهم الحربيّة، فضلًا عن شجاعَتِهم وبُطولَتِهم، ولنا أن نَعُدَّ هذه الفضيلةَ فيهم السَّببَ الأول في اندحار المادِيّين.

وحَنِقَ(١) «كزرسيس» أشدَّ الحَنَق من هزيمةِ المادِيّين وخَيْبَتِهم في اختراقِ سُور الإغريق، فأرسل إلى المَيْدان فرقة «الخالدين»، وكانت من المحاربين نُخْبَةَ النُّخَب، ولقد سمّيت بالخالدين لأنّ جنودها كانوا إذا فُقِدَ منهم واحدٌ حلَّ على الفور محلَّه جنديٌّ آخر.

ويقالُ إنّ الملك «كزرسيس» الذي كان يشهدُ المعركة، قفزَ عن عرشه ثلاث مرّات وهو قلِقٌ على مصير جنوده.

ولم يكن حظُّ الفرس في اليوم التّالي بأحْسَنَ منه فيما سبقَ

(١) حنق منه وعليه: اغتاظ.

من الأيام، فما كانوا يَجنُون من هجومهم إلا الإخْفاق(١) والهزيمة، فامتلأ قلبُ الملك قلقاً واضطراباً وجَزِع أشدَّ الجزَع .

وبينا هو على هذه الحال من الحَنَق والاضطراب، مَثَل بين يديه(٢) خائنٌ إغريقيٌّ يدعى « إفيالت » ، وينتمى إلى مدينة « مالس » المجاورةِ لساحة القِتال، وكان يعرفُ تلك البُقْعة معرفةً تامّة، ويعلمُ طُرُقها وشِعابها(٣) ومسالِكها ودُرُوبها، فعرض على الملكِ أن يدلَّ جنودَ الفرس على طريقٍ فى الجبل يُمَكّنهم إذا سَلَكُوه من أن يدورُوا حولَ « الترموپيل » ويفاجِئوا الإغريقَ من الخَلْف، واشترط عليه أن يقومَ بهذا العمل لقاء مكافأةٍ سنيّة(٤) يجزيه بها الملك .

وكان المساء قد بدأ يهبِطُ وينتشِرُ (ويقول « هيرودوت » إن المصابيحَ قد بدأت تُوقَد) فتركت فرقةُ الخالدين المعسْكر

(١) الإخفاق : الخيبة . (٢) مثل بين يدى فلان : بفتح الثاء وضمها قام منتصباً .
(٣) الشعاب : جمع شعب بكسر الشين ، الطريق فى الجبل .
(٤) مكافأة سنية : مكافأة رفيعة كريمة .



« وكان فى وسط المسافة بينهما نحو ألف فارس من أبرع الفرسان . . . »

(صفحة ٤٨)

الفارسىّ وعلى رأسها قائدُها ، وتبعت الخائن « إفيالت » ، فاجتاز بها نهرًا صغيرًا اسمه «أزوپوس» ، ثم صَعَّدَ بها فى الجبل حتى وصلت إلى قِمَّته .

واستمرَّ تَصْعِيدُها فى الجبل طولَ الليل حتى انبلاج الفجر [١] ، وكانت قِمّة الجبلَ مغطّاةً بأشجار الغابات ، فأخْفَتْهُمْ فى طَيَّاتِها ، ولم تقع عليهم عينٌ من العيون .

ولشدَّ ما أذْهَلَتْهم المفاجأة عندما تصدّت لهم فرقةٌ مؤلَّفة من ألفِ جندىّ إغريقى من أبناء مدينة « فوسيد » كانوا يحمُون الطّريق ، ويحمُون معه مَيْسَرةَ الجيش الإغريقى ، فنبّههم فى آخر لحظةٍ إلى قدوم العدو حفيفُ أوراقِ الشَّجَر [٢] اليابسة تحت أقدام عَسْكر الفرس ، فهبُّوا هَبَّةَ رجلٍ واحد ، وانتظروا عدوَّهم فى قلوب عامرةٍ بحبّ الوطن ، وصدورٍ تفيضُ منها البسالة والإقدام.

---

(١) انبلاج الفجر : طلوع الفجر .

(٢) الحفيف : الصوت المنبعث من أوراق الشجر عندما يهزها الريح .

واستعادَ الفرسُ فى الحال رباطةَ جأشِهِم (١) فأمْطرُوهم بوابلٍ (٢) من السّهام ، فتفرّق « الفوسيديون » وتداروْا وراءَ الصُّخُور ، وترقّبُوا الهجمةَ الثانية ، ولكن طال ترقُّبُهم فلم يهاجِمْهمُ الفرس مرّة أخرى بل تركوهم وشأنَهم ، وانحدروا فى أعالى الجبال إلى « الترموپيل » .

وطارَ الخبرُ إلى « ليو نيداس » فتحفَّزَ هو ورجاله للاستبسالِ والاستماتة فى سبيل الوطن ، ويقال إنّ عرّافاً من العرّافين قد أنهى إلى بعض رجالِ « ليو نيداس » أن الموت ينتظرهم فى ذلك النهار ، وأنهم سيخوضون معركةً خاسرةً ستقضى عليهم جميعاً .

وقُبَيْلَ طلوعِ الفجر ، جاء إلى « ليو نيداس » بعضُ الهاربين من جيش فارس ، وأخبرُوه أن الفُرسَ قد طوّقوه ، وأنهم منحدِرُون إلى « الترموپيل » من الجبال القائمةِ خَلْفَه . وكان بعضُ المستطلعينَ من الإغريق المنتشرين فى الجبالِ للاستكشاف

(١) رباطة جأشهم : شجاعتهم . (٢) بوابل : بمطر .

والحراسة ، قد لمحوا فرقةَ الخالدين ، فجرَوْا ينقلون النبأ إلى قائدِهم ، ويحذِّرُونه من تدفُّق ذلك الجيش الجرّار .

وأدرك «ليو نيداس» أن المعركةَ خاسرةٌ لا أمَلَ للنّصْر فيها ، وأن القتالَ فى ذلك الوَضْع ضَرْبٌ (١) من الانتحار يَقْضى على الجنودِ المحاربين قضاءً مُبْرَماً ، ولا يدفعُ عن البلاد شرَّ الكارثةِ الكُبْرى ، فرأى من الحكمةِ وصَوابِ الرأى أن يحتفظَ للبلادِ ببعض الأبطال ، لعلَّهم يستطيعونَ حِمايةَ ذِمارِها (٢) فى فرصةٍ أخرى من فُرَصِ القتال .

واستقرَّ فى ذهنه هذا الرأىُ ، فأمر جميعَ الجنود الذين جاءوا إليه من المُدُن الحليفة ليشدُّوا أزْرَهُ ويعاونُوه على الجهاد والكِفاح بأن ينسحبوا ويتركوا المكانَ ، أمّا هو ورجالُه الثلاثمائة فمحالٌ أن يتقهقروا قيدَ شعرة (٣) عن الموضعِ الذى عُهِدَ إليهم فى حِمايته

(١) الضرب : المثل والشكل .
(٢) الذمار : كل ما يلزمك حمايته وحفظه ، والحرم والأهل .
(٣) قيد شعرة : قدر شعرة .

والدِّفاع عنه . . . تلك هى شريعةُ « إسبرطة » فما كان الشرفُ يقضى عليهم بغيرِ الموت .

ويُرْوَى أنَّ بعض الجنود الذين أمرهم « ليو نيداس » بالانسحابِ والرّحيل عن ذلك المكان ، رفضُوا أن يُذعِنُوا لأمره ، وصَمَّموا على البقاء إلى جانبه وجانبِ رجالِه ، يحاربُون معهم ويقاسِمُونهم المصيرَ وشرفَ الموت فِدَى الحِمَى .

وعند ما طلعت الشمسُ ، وأرسلت أشعَّتَها الذهبيّة من وراء قِمَمِ الجبال ، نهض الملك « كزرسيس » فشرِبَ نَخْبَ الآلهة ثم سَجَدَ لها وصلَّى وسألها الظَّفَرَ والنَّصْر .

وانتظر حتى تحينَ[1] الساعةُ المتفقُ عليها مع الخائن « إفيالت » للهجوم ، فأزفت تلك الساعة ، وكانت الضُّحَى[2] قد ضَرَبَتْ أطنابَها[3] فدوّى نفيرُ الهجوم ، واختار الخائنُ كما يقول المؤرّخ

---

(١) تحين الساعة : تأزف الساعة . (٢) الضحى : الشمس .

(٣) أطنابها : جمع طنب ، الحبل الطويل يشد به سرادق البيت .

« هيرودوت » الوقتَ الذى تزدحمُ فيه الأسواق بالبَيْع والشّراء ، ولئن حَفَلَ الناسُ بأمورِ مَعاشِهم وذهبوا إلى الأسواق يبيعُون ويشترُون إنَّما كانوا يُلبُّون مطالبَ عِيالِهم وأُسَرِهم توفيرًا لِغذائهم وإبقاءً على حياتهم ، أمَّا غايتُهم الكبرى فكانت بَيْعَ نفوسِهم بَيْعَ السَّماح فِدَى أرضهم المقدَّسة التى نذرُوا لها دماءَهم ، وفِدَى أبنائِهم وأهلِهم الذين يشترون لهم بأرْواحِهم الزكيّة حياةً حرّةً كريمة ، لا تكبِّلُها[1] أغلالُ[2] الذلّ والاستعباد .

وهَبَطَ الفرسُ إلى الإسبرطيّين الأبطال ، وشَفَعُوا[3] هُبُوطَهم بسحائبَ من السّهام غطَّت وجهَ السّماء ، فقال أحدُ الإسبرطيّين لرفيقه :

— « إنَّ سِهام هؤلاء الأوباش قد ظلّلتنا وحجبت عنّا عَيْنَ الشمس ! »

---

(١) لا تكبلها : لا تقيدها ولا تصفدها. (٢) الأغلال : جمع غل وهو القيد .

(٣) شفعوا : ثنوا وأردفوا .

فقال له زميله :

— « نِعِمَّا فعلوا[1] ... فسوف نحاربهم فى الظلّ والفَىْء .... »

وكانت هذه الكلمةُ الطيبة هى آخرَ ما لفظَهُ هذا الجندىّ الشجاع المِغْوار فى ذلك اليوم العَصِيب .

وتوالت هَجماتُ الفرس توالِيَ المَوْجِ الزّاخر الهدّار ، ولكن كانت تعوِزُهم الشَّجاعة والتمرُّس بفنون القتال ، فكانوا يسقُطون تحت ضَرَبات الإغريق جماعاتٍ فوق جماعات ، وكُتَلاً فى إثْرِ كُتَل ، وكان قوّادهم يسوقونهم إلى القِتال وهم يُلْهِبُون ظهورَهم بالسِّياط ، فلقى كثيرٌ منهم حَتْفَهم فى ذلك المُعْترك وتلك الفَوْضى ، وزهقتْ أرواحُهم تحت أقدامِ زُملائهم يدوسونهم وهُمْ لا يشعُرون .

وطال أمَدُ المعركة[2] حتى تحطّمت رماحُ الإغريق وحِرابُهم ، فعمدوا إلى السُّيوف يقاتلون بها ، وإلى سواعدِهم المفتولةِ

(١) نعما فعلوا : نعم ما فعلوا . (٢) أمد المعركة : وقت المعركة .

يعْصُرون بها أبدان أعدائِهم ويتركونها جُثثاً هامدة .

وقضى المصيرُ القاسى أن يُصْرَعَ « ليونيداس » ويسقطَ شهيدَ الوطن فى ذلك الصِّراع العنِيف ، فنشبتْ فوق جُثّته معركةٌ حاميةٌ ، فقد انتزعها الإسبرطيُّون أرْبعَ مَرّات من بين أعدائِهم واضطُرُّوا إلى تركها أرْبعَ مرّات أخرى ، ولكن بعد أن قتلوا أخوَيْنِ من إخوةِ الملك « كزرسيس » .

وعند ما انحدرت فرقةُ الخالدين إلى « الترموپيل » انسحب الإغريقُ وابتعدوا عن الجِدار الذى حاولُوا حتى تلك اللحظة أن يَحْمُوه ويدافعوا عنه ، وتجمَّعوا فوق تلٍّ من التِّلال متراصّين فيه متكتّلين ، وهنا جرت المعركةُ الفاصلةُ من القتال .

وكان الإسبرطيّون قد استبقَوْا معهم بعضَ الجند من أهل « طيبة » يُسَخِّرُونهم فى خدمتِهم ، ولا يَرْكَنُون إليهم[1] فى القِتال لما يعلمونه عنهم من الجُبْن والغَدْر والخِيانة . فانتهز هؤلاء

(١) لا يركنون إليهم : لا يميلون إليهم ولا يثقون بهم .

الفرصة وتملصوا من رِبْقَة الإسبرطيين، وذهبوا يستسلمون لملكِ الفُرْس، فكواهم هذا بالحديد المحمى، واتخذهم عبيدًا له.

وفى تلك الأثناء وصل إلى الإغريق مَدَدٌ غريب، فقد كان أحد الإسبرطيين مستلقيًا إلى فِراشه فى قريةٍ مجاورة، لرَمدٍ كان قد أصيبَ به فى عينيه فأفقدَهُ البصر، فلما عَلِمَ بالموقف الحرِج الذى يَقِفُه إخوانه، طلب من خادمه أن يجىء له بسلاحه ويقوده إلى ساحة المعركة، فلما بلغها فرَّ الخادم فارتمى الرجلُ الأعمى فى أَتُّون[1] القِتال يضربُ ويطعن[2] ذاتَ اليمين وذات الشمال حتى قُتِل.

واستطاعَ الفرسُ بعد لأْيٍ[3] وجهد أن يحطموا السُّور، فأحْدَقُوا بالإسبرطيين من كلِّ جهةٍ وجانب، وضيَّقُوا عليهم الخِناق، وأعمَلُوا فيهم الضَّرْب والطَّعْن، فدافع الأحياء منهم عن

(١) الأتون : موقد نار الحمام وما يقام من الحجارة فتوقد فيه النار إلى أن تصير الحجارة كلساً. (٢) يضرب ويطعن : الضرب بالسيف والطعن بالرمح.

(٣) اللأى : التعب والشدة.

أنفسهم دفاع الأبطال، وكانوا إذا أعوزَهُم السلاح قاتلوا بأسْنانِهم وقبَضات أيديهم، حتى انتصرت الكَثْرةُ على الشجاعة فبادُوا[1] عن آخرهم.

وأقام الإغريقُ بعد فترَة من الزمن تمثالَ أسد هَصُور[2] صنعوه من الحجارة الصَّلْدة[3]، وركزُوه فوق ذلك التلّ تذكارًا ليومهم الخالدِ فى ذلك الحصن، وأقاموا كذلك فى ساحةِ القتال الأنصابَ والأضْرحة للشُّهداء الذين ماتوا فِداء الوطن.

ونقشَ الإغريقُ فوق ألواحِ تلك الأنصاب والأضرحة كثيرًا من العبارات التى تمجِّد البُطولة والبَسالة وتذكِّر الأجيال المقبلة بالأبطالِ الصَّناديد المغاوير، أمَّا النُّصُب الذى أقاموه تذكارًا للإسبرطيين الثلاثمائة فقد خطُّوا فوقه العبارةَ التالية:

«أيها المارُّ بهذا المكان، أبْلِغْ "إسبرطة" أننا مِتْنا هنا خضوعاً لشريعَتِها.»

(١) بادوا: هلكوا. (٢) الهصور: الأسد لأنه يهصر فريسته أى يكسرها كسراً.

(٣) الصلدة: الصلبة.

قلعة من خشب

سَقَطَ مَضِيقُ « التّرموپيل » فى أيدى الفُرْس ، غيرَ أن موقفَ الإغريق مع ذلك لم يكن مشمولاً باليأسِ ، على النَّحْو الذى يتبادرُ إلى الذهن بعد تلك المعركة الرهيبة التى استُشْهِدَ فيها أبطال « إسبرطة » ، ذلك أن الأسطولَ الإغريقىّ كان قد وقف فى وجه السُّفن الفارسيّة ، وقاوَمَها مقاومةً عنيفة استطاعَ بها أن يصدّ هجومَها وإنْ لم يستطعْ أن يحطّمها ويقذفَ بها إلى أعماقِ البحار .

على أنه لم يكن ثَمَّةَ[1] دليلٌ من الأدلّة على نجاة « آتينا » من قَبْضَة المعتدى ، ما دام الطريقُ إليها أصبحَ مفتوحاً ميسوراً ، فما على جيوشِ فارس البريّة إلا أن تسلكه فيوصلها إلى غايتها ،

(١) ثمة : هناك .

فضلاً عن أن الذُّعْرَ الذى سادَ البلادَ سيُعِينُ الفُرْسَ على ما يرجُون ويبتغون .

وكان قُوّاد الإغريق حائرين متردِّدين تحزُّ[1] فى صدورهم الرَّهبة ، ويمزّق نِياطَ قلوبهم[2] القَلَق ، ولا يدرون أيّة خُطّةٍ يتّخذونها فى سبيلِ الدِّفاع عن « آتينا » .

وسَرَتْ فى جُموعِ الشعب الهواجسُ[3] والوساوسُ ، وانتشرت فيه أقوالُ العرّافين الذين استشاروا الآلهةَ فتوقّعُوا للوطن المصيرَ السَّيّئ الأسود . وكان الآتينيُّون عند ما وقفوا على تأهُّب ملك الفرس لغزْوِ بلادهم ، بعثوا الرُّسُلَ كعادتهم فى كلّ أمرٍ خطير ، إلى « دلف » ليطّلعوا على رأى الآلهة من أفواهِ العرّافين ، فلما رأتهم العرّافة « پتيا » جالسين على درجات الهيكل ، استوحت الآلهةَ ثم أنذرَتْهُم بهذا الوَحْى الفظيع

(١) تحز : تمزق .
(٢) نياط القلب : عرق غليظ متصل بالقلب فإذا قطع مات صاحبه .
(٣) الهواجس : جمع هاجس ، ما وقع فى خلدك .

وقالت لهم :

— « أيُّها المساكين الأشقياء(١) : لماذا تجلسونَ جِلْسةَ رواسِي الجبال ؟ انهضوا واهرُبوا إلى أقاصى الأرضِ ، واهجروا منازلكم وقممَ مدينتكم المستديرة . . . إن هياكلَ الخالدين سوف تلتهمُها النيران . . . إنها اليوم تتصبَّب عرَقًا ويُزعزِعُها الخوفُ والذعر ، ويسيلُ من أوْجِها(٢) دمٌ أسود . . . »

هالَ الآتينيين أن يسمعوا مثلَ هذا الوحى المُظلِم المُنْذِر بالثُّبور(٣) وعظائمِ الأمور ، فخرُّوا ساجدينَ وعفَّروا جِباهَهُم بأرضِ الهيكل ، فرآهم على هذه الحالِ رجل رقيقُ الحال من « دلف » فنصحهم بأن يحملوا أغصانًا من شجر الزيتون ، كما يفعلُ المتقدِّمون إلى الهيكل على رجاءِ الزُّهْد والتنسُّك ، ويستشيروا الآلهةَ مرّةً أخرى ويسألوها رأيها فى مصيرِهم .

(١) الأشقياء : البائسين . (٢) الأوج : العلو .
(٣) الثبور : الهلاك .

فعملوا بنصيحةِ ذلك الرجل وتوسَّلوا إلى الآلهةِ أن تمنّ عليهم بجوابٍ رحيمٍ شفيق ، ينفخُ فيهم روحَ الشجاعة ، وذهبوا إلى العرَّافة « پتيا » ورجَوْا منها أن تستطلعَ لهم رأىَ الآلهة مرّةً ثانية ففعلتْ وقالتْ لهم :

— « إن الإلهَةَ "آتينا" على ما تقومُ به من دعَوات وصلَوات لا تستطيعُ أن تُهدِّئَ من رُوعِ(١) الإله "زوس" . . .

أقولُ لكم هذا للمرّة الثانية ، وأُنْذِرُكم بأنَّ قولى قاطع حاسِم لا رجْعةَ فيه ولا تبدُّل . . .

إن الإله "زوس" لن يمنحَ مدينة "آتينا" وما جاورَها من حدود وتُخُوم(٢) إلا قلعةً من خشبٍ حصينةً منيعة ، لا يستطيع أحدٌ أن يدكَّها أو يستولِىَ عليها . . .

(١) الروع : سواد القلب ، والذهن والعقل .
(٢) التخوم : الحدود .

يا «سلامين»[١] سيكونُ على يديك هلاكُ من تلِدُ النساء ...»

وساءل الآتينيّون أنفسهم ، والفرسُ يتوعّدُونهم ويهدّدونهم عن معنى ذلك الوحى ، فخبطوا فيه خبْطَ عشْواء[٢] . . . فما تلك القَلْعَةُ من الخشب ؟ ظنّ بعضُهم أنّها «الأوكروبول» وقد كان فيما مضى مُحاطاً بسورٍ من الخشب ، صَنَعَهُ نَفَرٌ من الرجال الفقراء ليكونَ لهم ملجأً ومأوى ، وظنّ بعضُهم الآخر أنّ ذلك السُّور الخشبى الذى جاء ذكرُه فى وَحْيِ الآلهة إنما هو رمزٌ إلى الأسطولِ الإغريقىّ ، وسواء كان هذا أم ذاك فمن الحكمةِ والتعقُّل إخلاءُ المدينة وهجرانُها ، فأصدر مجلسُ الشيوخ أمره بذلك ، ونصحَ كلّ فردٍ من أفرادِ الشعب أن يُخْلِيَ المدينة ، ويرحل بأسرَته إلى حيثُ يختارُ لها الملجأ الأمين .

فهجَرَ الآتينيُّون المدينة ، واليأسُ يملأُ صُدورَهم ، ورحلوا

(١) سلامين : جزيرة من جزر اليونان تقع على الشاطئ الغربى اشتهرت فى العصور القديمة بالنصر الذى أحرزه الأسطول الإغريقى بقيادة «تمستوكل» على أسطول ملك الفرس «كزرسيس» .

(٢) العشواء : الناقة التى لا تبصر أمامها .

بأطفالِهم ونسائهم فى الأعَمِّ الأغلب إلى الجزُرِ المجاورةِ لسواحِل اليونان ، وكان أقْرَبُها إليهم جزيرة «أجين» وجزيرة «سلامين» .

وبعد أن اطمأنّ الرّجالُ إلى حالِ أُسَرِهم ، وأمّنُوا لهم الملاذَ[١] والمأْوى ، عاد كلٌّ منهم إلى عمله فى الأسطول الإغريقىّ الراسى فى ميناء «سلامين» فى حين كان الأسطولُ الفارسىّ يشقُّ العباب[٢] عن بعد مُتّجهاً إلى «فالير»[٣] وكان قد مضى ثلاثةُ أشهر على اجتياز الفرسِ لمضيقِ «الإيلسپون» .

ولم يَبْقَ من «آتينا» شىءٌ يُذكَر ، فقد احتلّ الفرسُ جنوبَ المدينة ولم يلقَوْا فى ذلك عناءً ولا مقاومة ، وعسكروا فى تلٍّ صغير إزاء «الأوكروپول» ومن هنا أطلقوا سهامَهم إلى ذلك السُّور الخشبى الحقير بعد إذ ربَطوا رؤوسَها بالدُّسُر[٤] المشتعلة ،

(١) الملاذ : الملجأ يلوذون به .

(٢) العباب : أمواج البحر .

(٣) فاليرا : ميناء من الموانئ الثلاثة لمدينة «آتينا» فى العهود القديمة .

(٤) الدسر : جمع دسار وهو شىء كالليف تشد به ألواح السفينة .

فأحرقوه وأكلته النّيران .

ودافعَ الرّجالُ المحاصَرون في « الأوكروبول » دفاعَ المستَميت ، وأخذوا يضربون الأعداءَ بالحجارة ، ويُدحْرِجُون فوقهم الصُّخور من أعالي حِصْنهم الأشمّ(١) حتى دبّت الشجاعةُ والجرأةُ في نفرٍ من المحاربين الفُرْس ، فهَبُّوا إلى حاجزٍ متهدّمٍ من الحِصن ، فتسلقّوه ، وتبعتْهُم جماعاتٌ منهم ، وأصبحوا بعد قليلٍ في قِمّة الحصن ، فانقضُّوا على الفئةِ القليلة من الإغريق المدافعين عن القلْعة ، وتكاثَرُوا عليهم فحصَدوهم حصدًا .

وفرّتْ كوكبةٌ من هؤلاء الإغريق ، والتجأت إلى هيكل الإلٰهة « آتينا » وتحصّنت فيه ، فاندفعَ الفُرْسُ وراءَهم وحطّموا الأبوابَ وقتلوهم شرّ قتلة ، ثم نهبوا القلعةَ وأشعلوا فيها النار ، وأبادوا كلّ ما كان فيها من قديمِ الذّكْرَيات ومقدّس الآثار ، حتى شجرة الزّيتون التي كانت قد انبثقتْ من الأرض على أثرِ

(١) الأشم : المرتفع العالي .

ضَرْبَةِ الرُّمْح التي ضرَبَتها فيها الإلٰهة « آتينا » .

وأمرَ الملك « كزرسيس » جماعةَ الخوَنة من الإغريق الذين كان يجرُّهم معه ، بأن يُقيموا في مدينة « آتينا » ويحتلُّوا منازلَ أهْليها ، في حين كان الخائنُ الإسبرطيّ « ديمارات » الذى تحدّثنا عنه قبل ذلك ، يَطوفُ هو ورجلٌ من « آتينا » يدعى « ديسا » بأنحاءِ السَّهْل الذى اجتازهُ الفرس وقلَبوه ظهرًا لبطن ، فلمح الرّجلان غمامةً من الغُبار تتصاعدُ في الأُفُق ، فقال « ديمارات » لرفيقه :

— « ما هذا ؟ يلوح لي أن آلافا من الرّجال قادمُون إلينا من هذا الجانب » .

وما كاد يُتِمّ قوله ، حتى طَرَقَ مسامِعَهُما صوتٌ يُدَوِّي قائلًا :

— « إيَّاكوس ! إيَّاكوس ! »

فقال الآتينيّ :

— « أصغ إلىّ يا " ديمارات " ... يُخَيَّلُ إلىّ(١) أننا سنشهدُ أمرًا من الأمور الخوارقِ(٢) . . . إنك لا تجهلُ أن كلمة " إيا كوس " هى التى يصيحُ بها الآتينيّون فى المهرجانات التى يُقيمونها لكبار الآلهة ، وها نحنُ أولاءِ قد سمعناها الآن دون أن نعرفَ مصدرها ، ودون أن يكون حولنا عيدٌ من تلك الأعياد ، أفلا تظنّ أن الآلهةَ قادمةٌ لنَجْدة " آتينا " ؟ »

فقال « ديمارات » :

— « صَهْ(٣) أيها الرجل ولا تَنْبِسْ ببنت شَفَة(٤) وإيّاك أن ترفعَ أمرَ هذه الخارقة إلى مسمعِ الملك فقد نفقدُ معها الحياة ، ونكون ضحيّة غضبِ الملك ، فلتصنع الآلهة ما هى صانعة . . . »

أمّا أسطولُ الإغريق الرّاسى فى ميناء « سلامين » فقد كان الاضطراب يسودُ مجلسَ القادة فيه ، فكلّهم حائرٌ مشدوهٌ(٥)

(١) يخيل إلى : يغلب على ظنى . (٢) الخوارق : المعجزات .
(٣) صه : اسم فعل أمر بمعنى اسكت . (٤) نبس ببنت شفة : نطق بحرف .
(٥) مشدوه : مدهوش .

مغلوبٌ على أمره .

نظروا إلى «آتينا» وهى تحترقُ على مَرْمى أبصارهم الشّاخِصةِ إليها(١) فجزعوا وهلعوا وعزم كلٌّ منهم أن يخفَّ إلى بلده ويدافعَ عن مَسْقط رأسه .

وكانوا فى تلكَ الأثناء يحصّنون بَرْزَخَ « كورنثيا » تحصيناً عاجلاً ، فلمّا صَمَّمَ كلٌّ قائدٍ على الرّجوع إلى موطنه ، أصدر أمْرَهُ إلى سفنِه بالاستعداد للرّحيل ، فحاول الآتينيُّون محاولتَهم الأخيرة اليائسة ، وقرروا أن يواجهوا العدوّ ، وأن يموتوا حتى آخر رجلٍ منهم .

وكان أسطولهم معقودَ اللِّواء للقائد « تيمستوكل » ابن « نيوكليس » ، وكان هذا القائدُ منذ نحو عشر سنوات مسموعَ الكلمة فى مجلس « آتينا » محفوفاً بالتجلّة(٢) والإكرام ، وكان قد قدّر وأصابَ فى التّقدير أن أمن « آتينا » ومستقبلَها إنما يقومُ على الأسطول ، فجاهد جهادَ الأبطال ، وألحَّ وأمْعَنَ فى

(١) الشاخصة إليها : الناظرة إليها . (٢) محفوفاً بالتجلة : محاطاً بالإجلال .

الإلحاح[1] على مجلس الشّيوخ حتى دفعه إلى الموافقةِ على بناء سفنٍ حربيّة ، وحمله على أن يرصدَ الأموالَ اللازمة لذلك ، مما تجبيه[2] الدولة من مناجم جبل « لوريون » التى كانوا قد كشفوا عنها حديثاً .

فتمّ له ما أراد ، وها هو ذا فى هذه المِحْنة الدّاهمة يعتمدُ على الأسطول ، ويعتقدُ أنه مستطيع وَقْفَ زَحْفِ الفرس إذا ساعده على ذلك أهل جُزُر « البلوبونيز » .

وبدأ حملةَ الإقناع ، وأخذ يُثير حفيظة[3] حُلَفائه على الفرس ، ويُغْرِى قوّادَ أساطيلهم بالبقاء والاشتراك فى المَعْمَعة ، وكان معظمُهم قد أمروا سفنهم بالرّحيل ، فحاول ما وَسِعَتْه البلاغة وقوّة الإقناع أن يفوز على الأخصّ بموافقة « أوريبياد » قائد أسطول « إسبرطة » ، وقد كان يريد الانسحاب ، فلما صعد إلى

(١) أمعن فى الإلحاح : بالغ فى الإلحاح . (٢) تجبيه : تحصله من مكوس .

(٣) الحفيظة : الغضب والحمية فيما يحفظ .

سفينتِه وأفْضَى إليه برغبته راجياً مُلْحِفاً[1] فى الرّجاء ، رضى « أوريبياد » أن يجتمع القوّاد أمراء البحر فى آخر مجلسٍ حربىّ يعقدونه ليتشاوروا ويتداولوا فى الأمر .

فما من اجتماعٍ كان أوْفرَ كآبةً وأشْمَلَ للحزن والأسى والحَيْرة من ذلك الاجتماع ، على حين كان وطن « تيمستوكل » يتداعى[2] تحت الجَمْر واللّهب وألسنة النّيران ، وعلى حين كان أسطولُ العدوّ الضّخْم تزدادُ وحداتُه ساعةً بعد ساعة ، وتنضمُّ إليه مختلف سفنِه المتفرّقة فى عرض البحر ، وهو على مَرْمَى النظر من تلك السّواحل التى تجمّعت فيها النّساء والأطفال ، فى انتظار معجزةٍ تجودُ بها السّماء .

قال « تيمستوكل » لحلفائه :

— « إنّ أعداءنا يملكون أسطولاً لا حَصْرَ لسُفُنه ، فهم فى

(١) ملحفاً : ملحاً . (٢) يتداعى : ينهار .

حاجةٍ إلى حيِّزٍ[1] واسع يمكِّنهم من التحرُّك فيه والكرّ والفرّ ، فلنضطرّهم إلى القِتال فى مكانٍ ضيّق كذلك الذى يقومُ بين " سلامين " والشاطئ ، فلو فعلنا وانقادوا إلينا فقدُوا حتماً مزيّة تفوُّقهم فى العدَد . »

ثم أسهبَ[2] « تيمستوكل » فى إقناع حُلفائه ، واستعمل فى ذلك ما استطاعَ من صبْرٍ وحزْمٍ وحِيلة ، غير أنه فقد أناتَه[3] ورزانَته عندما سمع القائدَ الكورنثى يقطعُ عليه حبْلَ الكلام ، ويصيح فى وجهه قائلًا :

— « اسكت يا " تيمستوكل " فليس لك أن تتكلم وتقترحَ وتطلب بعد إذ فقدتَ بلادَك وأصبحت رجلًا لا وطن له . . . وأنت يا " أوريبياد " إنّى أمنعُك من أن تطرحَ للتّصْويت اقتراحَ رجلٍ بلا وطن . »

(١) الحيز : المكان . (٢) أسهب : أطنب وأطال .
(٣) أناته : صبره وهدوءه

طفح الكيلُ فانفجر « تيمستوكل » مَغيظاً مُحْنَقاً ، بيْدَ أنه استعاد رباطةَ جأشِه وحِلمه وسُكونه ، ووقع خاطرُه على الدّليل المقنع فقال :

— « أرْهِفْ إلىَّ بسَمْعِك يا " أوريبياد " ، واعْلَمْ أنّك إذا لم تستجبْ لمطلبى فنحنُ الآتينيّين سوف نحملُ نساءنا وأطفالَنا على سفننا ونسيرُ بهم إلى إيطاليا ، وليدافعْ أهلُ " البلوبونيز " عن أنفسهم كيفما استطاعوا بعدما يُحرَمُون معونتَنا ونُصْرَتنا . »

فجزع « أوريبياد » من هذا الوَعيد[1] ، فنزل عند اقتراح « تيمستوكل » وأقنعَ بقيّة القُوّاد بأن يقاتِلُوا جميعاً الفُرْسَ فى مياهِ « سلامين » ؛ وظنّ « تيمستوكل » أنه فاز بالغَلَبة على آراء سواه من القوّاد ، ولكن اعترضته بعد ذلك مصاعبُ جَمّة[2] .

وخرج الأسطولُ الفارسىّ بعد بِضعِ ساعاتٍ من مينا « فالير » وسار يتهادَى على صَفَحات الماء مُنْتَظِمَ الصُّفوف

(١) الوعيد : التهديد . (٢) جمة : كثيرة .

خَفَّاق الأعْلام ، مزدحمًا بالجند والعتاد ، ومتأهّبًا لخوضِ غمرات القتال .

وراَهُ الإغريقُ على مثلِ ذلك العَدَد والنِّظام ، فعاد الذُّعْرُ يدبُّ فى قلوبِهم ، وعادت فرائِصُهم (١) ترجفُ وترتعدُ ، فخطرَ لهم أن لا يزالُ فى الوقتِ سعَةٌ للهرب فعقدَ القُوّاد مجلسَ الحرب ، وأدْلَى كلٌّ برأيه ، فأجْمَعُوا على الفِرار إلّا « تيمستوكل » ولكن لم يأخُذْ برأيه أحدٌ من القوّاد .

وأطالَ التّفكيرَ فى الأمرِ بعد إعراضِ زملائِه وإخوانِه عنه ، وهو يائسٌ مهمومٌ ، فحداهُ (٢) اليأسُ والغمّ إلى قرارٍ بيَّتَه فى صدرِه وعزَمَ على تنفيذه .

وكان المساءُ قد هبطَ على الكون يلفُّه برِدائِه الأدْكَن (٣) ، فخرج « تيمستوكل » من المجلسِ ودعَا إليه مؤدِّبَ أبنائه ، وكان

(١) الفرائص : جمع فريصة وهى اللحمة بين الجنب والكتف أو بين الثدى والكتف ترعد عند الفزع . (٢) حداه : ساقه ودفعه .

(٣) دكن : مال لونه إلى السواد فهو أدكن .

له به ثقةٌ عمْياء ، وأرسله إلى الأعداءِ مزوَّدًا بمهمّةٍ خاصّة طلب إليه أن يحققها .

وصَلَ الرّسُولُ إلى معسكرِ الأعداء ، فساقوه إلى حيثُ كان قوّاد الجيش الفارسىّ فقال لهم :

— « أرسَلَنى إليكم القائدُ الآتينىُّ "تيمستوكل" وحمّلنى إلى ملككم العظيم رسالةً شفويّةً يوَدُّ فيها أن يُسْدِىَ إليه يدًا (١) يذكرُها له بالشكر ، وطلب إلىَّ أن أُبْلِغه أنَّ الإغريقَ مُزْمِعُون على الهرب من وجهه والتفرُّق فى أنحاء المعمور ، فما عليه إلّا أن يعجّل فى ضرْبِهم الضَّرْبَةَ القاضية ، ليحولَ دونَ فِرارِهم ، فهم الآن فى خِصامٍ وشِجار ، وتلك حالٌ تمكِّنه من قهرِهم والتغلُّب عليهم . »

وسمع الفرسُ هذه الرّسالةَ فأمْعَنُوا فى بحْثِها ودرْسِها وتقليبِ وجوهِ الرَّأى فيها ، حتّى قرّ قرارُهم على الأخذِ بها وتصديقِها دون

(١) أسدى إليه يداً : صنع له معروفاً وجميلا .

أن ترَقى إليهم منها ريبةٌ ولا شكٌّ .

وانتصفَ الليل ، وكان المجلسُ الحربىّ الذى عقدَه الإغريقُ لا يزالُ قائماً ، وقد عادَ إليه « تيمستوكل » يحاولُ فيه محاولةَ اليائسِ أن يكسبَ إلى رأيه بعضَ الأعوان والأنصار .

وبينا كان القومُ يتناقشون ويتجادَلون ، وقد حَمِىَ بينهم وَطِيسُ[1] الجدال ، جاء إلى المجلسِ أحدُ الآتينيّين ، وطلبَ مقابلةَ « تيمستوكل » فخرج إليه فإذا بالوافدِ عليه أحدُ خُصُومِه فى الرَّأى فابتدره « تيمستوكل » قائلاً :

— « ها أنا ذا يا سيّدى فماذا تريدُ منّى ؟ »

فقال الرّجل :

— « جئتُ ألتمسُ منك ومِنْ بقيّة أعضاء المجلس أن ترْجِئوا خِصامَكم إلى فرصةٍ أخرى ، لقد بلغَنا ما أنتم فيه من خِلافٍ شديدٍ على رحيلِ الأسطول ، والفِرار من سُفُن العدوّ ،

(١) الوطيس : التنور وما أشبهه . يقال : حمى الوطيس أى اشتدت الحرب .

فأنت تُؤْثِرُ القتال ، وبقيّةُ الأعضاء يفضّلون الهرَب ، فالقتالُ فى عُرْفِهم ضَرْبٌ[1] من الانتحار ، ولكن سبق السّيفُ العَذَلَ[2] ولا مندوحةَ[3] لنا جميعاً عن القِتال ، فأسطولُ العدوّ يقتربُ منّا ويحيطُ بنا من كل حدبٍ وصَوْبٍ[4] . . . إنّى شاهدته بعينىَّ هاتَيْنِ ، وهُرِعْتُ[5] إليك أخبرُك بالأمر على ما بيْنَنا من خصومةٍ وعَداوة شخصية . . . »

فصاحَ فيه « تيمستوكل » :

— « إنَّ حديثَك عَذْبٌ شَهِىٌّ على سَمْعى يا هذا ، وما كنتُ أتوقَّعُ أن أسمعَ أعْذَبَ منه ولا أشْهَى ، فأنا الذى أهَبْتُ[6] بهؤلاء البرابِرَة إلى المجىء إلينا وقتالِنا ، فادْخُلْ إلى المجلس ، وأبلِغِ الأعضاءَ ما رأيت ، فلو أنْهيْتُ أنا إليهم بالخبرَ ما صدَّقونى . »

(١) ضرب : مثل وشكل . (٢) سبق السيف العذل : كناية عن فوات الوقت .
(٣) المندوحة : السعة والفسحة . (٤) من كل حدب وصوب : من كل جهة .
(٥) هرعت : سارعت فى فزع .
(٦) أهاب : يقال أهاب الراعى بغنمه : صاح لتقف أو لترجع .

وأسْقِطَ فى أيدى القوّاد عندما وقَفُوا على جليّة الخبر ، فقد أصبح القتالُ أمرًا لا مفرَّ منه ، فهبَّ القوّاد إليه ، وأصْدَرُوا ما يلزم من أوامرِ ، فسرَتْ فى الإغريقِ روحُ الحماسة والبَسالة ، وتأهّبُوا لملاقاةِ العدوّ بنفوس تحتقرُ الموتَ فِداءَ الوطن .

وبدأ الفجرُ يلوحُ بوجهه الوَرْدِىّ على البرّ والبحر ، فوقف « تيمستوكل » يخطبُ فى الجند والبحّارة ، ويُذْكِى[1] فيهم نيرانَ الحماسة وهم يجيبونه بهتافٍ يشقُّ عنانَ السّماء[2] .

ثم تحرَّكَ أسطولُ الإغريق وغادرَ الموانئَ وتقدَّمَ إلى لقاء العدوّ .

وليسَ لنا إلاّ أن نستعيرَ كلامَ الشّاعرِ العظيم « إشيل » فى وصْفِ المعركة ، فقد وصَفَها أرْوَعَ وصفٍ فى المأساةِ التى نظمها بعنوان « الفرس » ، وقال يصوِّرُ جيشَ الإغريق الزّاحِفَ إلى

---

(١) يذكى : يشعل ويلهب .

(٢) عنان السماء : ما ارتفع منها وما بدا لك منها إذا نظرتها .

ساحاتِ الوَغَى[1] :

« عندما طلعت خيوط الصّباح ، وانْتَشَرَ لألاؤُهُ على الكون جميلاً باهرًا بهيًّا ، تصاعدتْ من صُفوفِ الإغريق أهازيجُ[2] مدوِّية عظيمة اللّحْن والإيقاع ردّدَتْها صخورُ الجزيرة وبثّتها فى أعالى الفضاء . . .

كلاَّ . لم ينشد الإغريقُ تلك الأناشيد تأهُّبًا للفرار ، بل استعدادًا لخوضِ المعركة رابطِى الجأش ، ثابتِى الجنان[3] ، وكانت أصواتُ النّفير تصاحِبُ تلك الأهازيجَ ، فتنتشرُ انتشار اللّهَب بين طوائفِ الجُنْد والمقاتلين . . . »

وكانَ من أقوالِ تلك الألحان التى ردّدُوها وغنّوْها :

« يا ابْنَ الإغريق ، قُمْ وأنْقِذِ الوطن . . . أنْقِذ أطفالَه ونساءه ، وجنِّبْ هياكِلَه التى تأوِى إليها آلهةُ جِنْسِك من أن

---

(١) ساحات الوغى : ساحات الحرب .

(٢) أهازيج : أناشيد .

(٣) الجنان : القلب .

تُداسَ وتُدنَّس، وارْعَ حُرْمَةَ قبورِ أجدادِك ونكّبْها[1] الذُّلَّ والهَوان . . . إن المعركةَ لفاصلةٌ اليومَ، نُخضْها وانتزع النَّصْرَ من أشْداقِ[2] البحر وبراثِنِ[3] الوحوش . »

وسَجّلَ التّاريخُ للقائد « أمنياس » أنه كان أولَ من هَجَم بسفينته على سُفُن الأعداء .

وكان « كزرسيس » مستوِياً على عرشه الرَّفيع الذى نَصبُوه له عند سَفْح جبلٍ من الجبال، يشاهِدُ المعركةَ ويتتَبّعُ سَيْرَها فى شوق وحمِيّة . وكان أمناؤه وكُتّابُه جالسينَ عند موطِئِ قدمَيْه يسجِّلُون أسماءَ القوّاد الذين يتميَّزُون بالبَراعة والإقْدام، غير أنه لم يلبَثْ طويلاً حتى رأى أسطولَه تدورُ عليه الدّوائر، ويُمْنَى[4] بهزيمةٍ ساحقةٍ أذْهلَتْه وأطارتْ رُشْده وصَوابَه .

---

(١) نكبها : جنبها .

(٢) أشداق : جمع شدق وهو زاوية الفم من باطن الخدين .

(٣) براثن : جمع برثن والبرثن من السباع والطير بمنزلة الإصبع من الإنسان .

(٤) يمنى : يصاب .

وإليكم ما وَصَفَ به بعضُ المؤرِّخين تلك المعركةَ البحرية العظيمة :

« كانت هيا كلُ السُّفُن تنقلبُ على جوانبِها، فيختفى البحرُ تحت آكامٍ من الحُطامِ والجُثَث الدّامية، وكانت السّواحل والصّخور مغطّاةً بالأموات . . . وكان الإغريقُ يضربُون بالمجاذيفِ المكسَّرة، وبكلّ قطعةٍ تصِلُ إلى أيديهم من قِطَع السّفن المحطَّمة، كأنّهم قد نفرُوا إلى رحلةِ صيدٍ ورَمَوْا فى البحر الشِّباك، فلا بُدَّ لهم من أن يَسْحبُوها مملوءةً بالأسماك . وكان الأنين والزّفيرُ هو ما يُسْمَعُ من جَنَبات البحر، وبقيت المعركةُ على تلك الحال حتى هَبَطَ اللّيل بوجْهِهِ الكئيب، فساد الصّمْتُ والسُّكون وانتْصر الإغريق . »

الفهرست

تم طبع هذا الكتاب على مطابع

دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٧

قصص وأساطير من الإغريق

بلاد الإغريق ، بلاد عريقة فى القدم تكثر فيها القنوات والخلجان ، والسهول والجبال ، والهياكل والمعابد التى شيدت للآلهة وربات الفنون .

والعالم قديمه وجديده مدين للإغريق بحضارة سارت منها مسير الشمس فانبسطت أشعتها على كل بلد وأثرت فيه بآدابها وعلومها وحكمة حكمائها وشرائع مشترعيها .

فلا عجب أن تكون تلك البلاد ذات التاريخ الضخم غنية بقصصها وأساطيرها . وفى هذه المجموعة التى نضعها بين أيدى شبابنا طرائف ساحرة من تلك القصص والأساطير .

تحتوى هذه المجموعة على ست قصص هى :

١ ــ يمين كاذبة	٤ ــ مجد وبؤس
٢ ــ نساء بواسل	٥ ــ المغامرون
٣ ــ الطاغية المحتال	٦ ــ ملحمة الإسكندر

مزينة بلوحات ملونة

ملتزم التوزيع : مؤسسة المطبوعات الحديثة